الباب الأول

ألطاف حسين حالى

الفصل الأول : الحالة السياسية والاجتماعية والفكرية فى شبه القارة الهندية فى القرن التاسع عشر.

الفصل الثانى: حياته وثقافته.

الفصل الثالث: جهوده الفكرية والاجتماعية فى بناء المجتمع الإسلامى الهندى.

obeikandl.com

الفصل الأول

عصر حالى

الحالة السياسية والاجتماعية فى شبه القارة الهندية

فى القرن التاسع عشر

مع بداية القرن الثالث عشر الهجرى، التاسع عشر الميلادى بدأت عوامل الضعف تدب فى أوصال الدولة المغولية فى الهند، تلك الدولة الفتية التى حكمت الهند من عام (٩٣٢هـ / ١٥٢٦م) حتى عام (١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م) شهدت فيها الحضارة الإسلامية فى الهند أزهى عصورها.

وكان الإمبراطور المغولى «شاه عالم» يحكم الهند مع مطلع هذا القرن وقد امتد حكمه من عام ١١٧٣هـ/١٧٥٩م حتى وفاته عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م ومن ثم بدأت الدولة المغولية فى الإنهيار واستولى الانجليز على مقاليد الحكم فى الهند بعد فشل ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م، وكان ذلك نهاية لفترة من العلاقات بين العرب والمسلمين من ناحية والهند من ناحية أخرى – امتدت منذ فترة ما قبل الإسلام»[١].

---

(١) كانت للعرب صلات وعلاقات تجارية مع الهند قبل الإسلام وكانت سفن تجار العرب فى الجاهلية تصل إلى بحر السند وشواطئ ما لبار وتعود محملة بالأقمشة المختلفة والتوابل والسيوف الهندية التى طالماتغنوا بها فى أشعارهم وأولعوا بها حتى سموا السيف المطبوع من حديد الهند، بالمهند وقالوا: «سيف مهند وهندى وهندوانى إذا عمل ببلاد الهند». ابن منظور: لسان العرب: مادة هند (دار المعارف) وسموا كثيراً من نسائهم هندا. (أحمد أمين: ضحى الإسلام. جـ١ .ص٢٢٩) وبعد الإسلام بدأ المسلمون يتوافدون على سواحل الهند فى عهد الخلفاء الراشدين وفتحوا ثغوراً عديدة فى الهند أهمها مكران وخور الديبل. (البلاذرى: فتوح البلدان: بيروت. ١٩٨٣ص ٢٤٠–٢٤١ وص٤٢٥–٤٢٦، أيضا: سيد سليمان الندوى: عرب وهند كے تعلقات. الهند. ١٩٣٧ ص٦، ١٣) ثم بدأ الغزو الجدى للهند على أيدى الغزنويين الأتراك من ناحية غزنه وتولى سبكتكين حكم غزنه واقام دولة فى بيشاور وتوفى عام ٣٨٧هـ وخلفه ابنه محمود الغزنوى الذى غزا الهند سبع عشرة مرة فى سبعة وعشرين عاماً وتملك بعض الحصون. (احمد الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم. ج١. القاهرة ١٩٥٧م. ص٩١). وجاء السلطان محمد الغورى وقضى على الغزنويين وخلفهم على حكم الهند ثم جاء بعده المماليك فى ٦٠٢هـ/١٢٠٦م حتى سنة ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠ وخلفهم الخليجيين من ٦٨٩هـ/ ١٢٩٠م إلى ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م ثم جاء بعدهم آل تغلق من ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م إلى ٨١٦هـ/١٤١٣م وسقطت دهلى =

= في يد تيمورلنك سنة ٨٠١هـ/ ١٣٩٧م وحكمت أسرة السادات الهند فى سنة ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م ثم خلفهم اللودهيين حتى عام ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م. وما أن حل عام ٩٣٣هـ/ ١٥٢٦م حتى فتح السلطان ظهير الدين محمد بابر الهند وقضى على سلاطين الدولة اللودهية فى معركة پانى پت واستولى على دهلى فى غرة صفر ٩٣٢هـ وجلس على عرشها فى الرابع من رجب سنة ٩٣٢هـ/ ١٥٢٦م وتوفى عام ٩٣٧هـ/ ١٥٣١م (ظهير الدين محمد بابر: بابر نامه: ترجمة خان خانان بيرم خان. بومباى. (ب.ت) ص ١٦٣، وخلفه ابنه همايون ثم أكبرثم جهانگير فشاهجهان ثم اورنگزيب الذى يعد من أعظم ملوك هذه الأسرة وأقواهم وبعد وفاته عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٧م بدأت عوامل الضعف والانهيارتدب فى أوصال الدولة المغولية إذ حكمها سلسلة من الملوك الضعاف، فتولى بهادر شاه الأول الحكم بعد وفاة والدة اورنگزيب فى عام ١١١٨هـ/ ١٧٠٧م وظل فى الحكم حتى عام ١١٢٣هـ/ ١٧١١م وقد قضى فترة حكمه فى حروب داخلية من أجل تثبيت ملكه. وظل فى الحكم حتى عام ١١٢٤هـ/ ١٧١٢م.

(Dunbar: A history of India from earlest times to present day/ London, 1963 P. 289).

وخلفه جهاندار فى ٢٩ مارس سنة ١٧١٢م فانصرف إلى حياة اللهو والمتعة حتى قتله أخوه فرخ سير وجلس على عرش دهلى فى المحرم من عام ١١٢٥هـ/ ١٧١٣م فكان زمام الحكم فى أيدى أسرة السادات

(Dunbar: Ibid. P. 291 - 292)

(Elphinstine: History of India the Hindo and Mohamadan periods, London: 1849, P. 204).

وفى عهده ثار السيخ فى البنجاب والمرهتها فى الدكن فقبض السادات على فرخ سير وجاءوابرفيع الدرجات وأجلسوه على العرش فى ١١٣١هـ/ ١١٧٩م بعد أن قتلوا فرخ سير،ومات رفيع الدرجات بعد ثلاثة شهور من توليه الحكم وخلفه رفيع الدولة شاهجهان الذى مات أيضا فى نفس العام وخلفه محمد شاه سنة ١١٣١هـ/ ١٧١٩م وكان العوبة فى يد أسرة السادات وفى عهده غزا نادر شاه الفارسى الهند عام ١١٥١هـ/ ١٧٣٩م ومن بعده غزا القائد الأفغانى أحمد شاه الإبدالى الهند عام ١١٦٠هـ/١٧٤٧م وقد جاء بناءًا على طلب شاه ولى الله الدهلوى الذى قام بحركة إصلاحية حاول فيها إصلاح الملك والرعية، وتوفى محمد شاه سنة ١١٦١هـ/ ١٧٤٨م.

(More Land: A short history of India. Second Edition 1944. P. 267 - 268).

وخلفه ابنه أحمد شاه الذى ورث ملكا ضعيفاومضت عليه عدة سنوات وكانت نهايته مؤلمة إذ قبض عليه غازى الدين وهو أحد القواد وسمل عينيه وأجلس مكانه عالمگير الثانى فى عام ١١٦٨هـ/ ١٧٥٤م وفى عهده عاد أحمد الإبدالى إلى دهلى وخربها ولكن الوباء تفشى فى جنوده فرجع إلى بلاده عام ١١٧١هـ/ ١٧٥٧م وترك جيشا بقيادة نجيب الدولة الروهيلى ليساند غازى الدين ولكن غازى الدين استعان بالمرهتها ضد نجيب الدولة وكان معه ولى العهد « شاه عالم الثانى » وقتل عالمگير عام ١١٧٣هـ / ١٧٥٩م وأجلس على العرش مكانه ابنه كام بخش ولكن الإبدالى وصل إلى شمال الهند واستولى على لاهور وهزم المرهتها فى معركة پانى پت عام ١١٧٤هـ/ ١٧٦١.

(Spear: Twilight of the Mughuls, studies in Late Mughul cambridge at the Universities Press. 1951. P. 13-14).

وبعد ذلك نادى الإبدالى بشاه عالم الثانى سلطانًا على دهلى وتوفى الإبدالى سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م =

ومع بداية القرن التاسع عشر الميلادى بدأ الإنجليز فى نشر التعليم الإنجليزى بين المسلمين والهندوس، وبدأوا فى الاهتمام باللغة الأردية لتكون ندا للغة الفارسية التى كانت لغة الحكام المسلمين فى الهند، ولغة الحضارة الإسلامية الهندية لعدة قرون خلت، وقد أدى تشجيع اللغة الأردية إلى حركة تأليف واسعة النطاق فى النثر الأردى.

وكان أول احتكاك فعلى بين الأردية كلغة وثقافة وبين أهل الثقافات الأخرى ممثلا فى كلية فورت وليم وقد أسسها الحاكم البريطانى العام فى الهند اللورد ويلزلى عام ١٧٩٩م وكان الهدف من إنشاء هذه الكلية هو تعليم الضباط الإنجليز الذين سيلتحقون بالعمل فى شركة الهند الشرقية لغة الهند وحضارتها ليكون هؤلاء الضباط واقفين على تقاليد هذا البلد وتاريخه وكذلك كان الهدف من إنشاء هذه الكلية هدفا استعماريا بحتا هو خدمة مصالح الإنجليز فى الهند دون أن يضعوا فى الاعتبار الاهتمام باللغة الأردية وآدابها ولكنهم ساهموا فى تطور اللغة الأردية وانتشارها فى الهند دون قصد وبذلك أصبحت اللغة الأردية لغة رسمية فى المصالح الحكومية بدلا من اللغة الفارسية(١).

وفى ٤ مايو ١٨٠٠م فتحت كلية فورت وليم فى كلكتا أبوابها للدراسة وأشرف عليها « جون گلكراست (١٧٥٩- ١٨٤٧م) ونص برنامجها على كتابة الكتب باللغة الأردية فى موضوعات مختلفة ومتنوعة وترجمة الكتب من اللغة الإنجليزية إلى الأردية وترجمة مختارات من الآداب الشرقية وكان لكلية فورت وليم بليغ الأثر فى تطور النثر الأردى وبداية النثر الفنى والأردى الذى يُؤرخ له بقيام هذه الكلية وكان لجون گلكراست « دور بارز فى تطور النثر الأردى وبجهوده أصبحت اللغة الأردية لغة متطورة وصارت اللغة الحكومية وقد أحدث فيها تطورات عظيمة حتى حلت محل اللغة

= فاشتد ازر المرهتها فعين شاه عالم الثانى ملكهم أميرا للجيوش كلها واصبحت إمبراطورية المغول فى كفالته. (جوستاف لوبون. حضارات الهند. ص ٣١٢) وأراد شاه عالم أن يسترد البنغال من الإنجليز فوقعت بينهما حروب انتهت بانتصارهم فى «بُكسر» سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٦٤م وقبض غلام قادر روهيلا على شاه عالم وسمل عينيه سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م ولم يمكث طويلا ومات عام ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م. (لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامى. جـ٤. ص٣١٣) وخلفه ابنه اكبر شاه ثانى فلم يكن له اى تاثير فى الحكم (Spear, op. Cit., P.67).

وجاء بعده بها درشاه الثانى فى سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م وكان آخر ملوك الأسرة المغولية وقد نفاه الإنجليز إلى رانجون فى بورما بعد ثورة ١٨٥٧م وبذلك انتهى حكم الدولة المغولية للهند وبدأ حكم الإنجليز المباشر للهند من عام ١٨٥٨م واستمر حتى عام ١٩٤٧م.

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو ص ٤٠٥.

الفارسية كلغة للبلاط وللحكومة الإنجليزية، وعندما عمل موظفًا لدى حكومة الشركة أدرك أن تعلم الضباط الإنجليز اللغة الفارسية فقط ليس كافيا بل يجب عليهم معرفة اللغة الهندوستانية(*)» أى اللغة الأردية التى كانت تعتبر فى ذلك الوقت لغة كل الطبقات ولذلك ضرب گلكراست المثل بنفسه وعُرف عنه أنه كان يرتدى الملابس الهندية ويتحدث باللغة الأردية السليمة علاوة على إلمامه باللغة السنسكريتية والفارسية واللغات الشرقية الأخرى وقد احتذى حذوه كثير من ضباط الانجليز وخاصة فى تعلم اللغة الأردية(١).

وقام گلكراست بجمع الأدباء والمؤلفين من أنحاء الهند وأطرافها، وعينوا فيها بعض الأساتذة الإنجليز العارفين باللغة الأردية، وقام گلكراست بانتخاب العديد من الكتب النثرية والقصائد الشعرية الأردية ورتبها وترجمها إلى اللغة الإنجليزية وألف كتبًا عديدة منها: قاموس إنجليزى – هندوستانى فى مجلدين وكتاب «أدباء الشرق» وقدم له بمقدمة باللغة الأردية و«قواعد اللغة الهندوستانية» و«علم اللغة الهندوستانية» وقام فى كتابه الأخير ببحث فى أصل اللغة الأردية وقد قام باستعراض الآراء السابقة فى هذا الموضوع وتوصل إلى أن اللغة الأردية قد وُضع أساسها فى الهند فى أيام فتح تيمور للهند(٢).

وساعد گلكراست فى إدارةالكلية بعض الضباط الإنجليز مثل: دويك وتيلر والدكتور هنتر والعديد من أدباء الأردية وكُتّابها وعلى رأسهم ميرآمن وشير على أفسوس وحسين لطفى حيدرى وجوان للولال جى ونهال چندلاهورى وإكرام على ولا وسيد محمد منير وسيد بشير على ومير بهادر على حسين وحيدر بخش حيدرى ومير كاظم على جوان ومظهر على ولا وحفيظ الدين أحمد وميرزا على لطف وغيرهم من الأدباء الذين أدوا خدمات جليلة للغة الأردية والنثر الأردى، وقد كتب ميرآمن الدهلوى كتابه «باغ وبهار عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م وهوترجمة أردية لكتاب «قصة چهار درويش لأمير خسرو وقد استعمل ميرآمن فى هذه القصة لغة الحوار اليومية والتعبيرات التى يستعملها سكان دهلى بأسلوب ممتع جذاب فكان تصويراً للحياة الاجتماعية والحضارية فى عهده ويعد كتابه أول كتاب يكتب بلغة عامة الناس بأسلوب بسيط سلس ولكن هذا الأسلوب لم

(*) أطلق الإنجليز على اللغة الأردية اسم اللغة الهندوستانية.

(١) رام بابو سكسينه: المرجع السابق ص ٤٠٦.

(٢) محمد معين الدين دردائى: تحقيقى مقالے. ص٤٤.

يرق لبعض الكتاب فقاموا بانتقاد أسلوبه ولغته وعلى رأس هؤلاء مرزار رجب على بيگ سرور الذى ألف كتابه «فسانه عجائب» سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م انتقد فيه أسلوب ميرآمن البسيط وكتب قصته بلغة متكلفة وعبارات فارسية وكان سرور ينتمى إلى مدرسة لكناؤ التى اهتمت بالتكلف والتصنع فى النثر والشعر وكتب أدباء هذه المدرسة قصصاً نثرية مثل «طلسم هو شُربا» وقصة «أمير حمزة» وطوروا فن القصة ومع أن هذه القصص خيالية إلا أنها قدمت لنا صورة حية وكاملة للعادات والتقاليد والجوانب الحضارية لهذا العهد(١).

وقد كتب الأدباء المنتمون لكلية فورت وليم العديد من المؤلفات فى النثر والشعروقام مرزا على لطفى بترتيب أول كتاب فى تراجم شعراء الأردية باللغة الأردية اسمه «گلشن هند» أى روضة الهند وذلك سنة ١٨٠٧م وكانت كتب التراجم التى ألفت قبله تكتب باللغة الفارسية، وكتب شير على أفسوس (١٧٣٥ - ١٨٠٩م) عدة مؤلفات أهمها: الترجمة الأردية لگلستان سعدى والمعروفة باسم «باغ أردو» سنة ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م وطبعت فى كلكتا لأول مرة سنة ١٨٠٢ وفى سنة ١٨٠٤ كتب كتابه المشهور «آرايش محفل» وصحح وحقق كليات سودا وله ديوان شعر وتوفى عام ١٨٠٩م(٢).

وعمل مير بهادر على حسينى أستاذاً فى كلية فورت وليم وكتب «أخلاق هندى» سنة ١٨٠٢م ولخص رسالة گلكراست فى النحو والصرف وفن العروض فى اللغة الأردية وطبعت فى كلكتا سنة ١٨١٦م وترجم «تاريخ آسام» تاليف شهاب الدين تابش وشارك فى ترجمة القرآن الكريم.

وكتب سيد حيدر بخش حيدرى كتاباً معروفاً بـ«قصة مهر وماه» سنة ١٢١٤هـ/ ١٨٠٠م وقدمه لگلكراست فاعجب به وعينه فى كلية فورت وليم، وترجم عدة كتب منها: قصة ليلى والمجنون وطوطا كهانى ترجمة لـ«طوطى نامه، الفارسى لسيد محمد قادرى وألفه سنة ١٨٠١ نزولاً على رغبة گلكراست.

أما مرزا كاظم على جوان فقد ترجم مسرحية «شكنتلا» لكاليداس وكتب لها مقدمة تحدث فيها عن أصل هذه القصة وذكر أن كاليداس ترجم هذه المسرحية عن البرج بهاشا سنة ١٧١٦م، وقد انتهى مرزا كاظم من هذه الترجمة سنة ١٨٠١م وطبعت فى كلكتا

---

(١) ابو الليث صديقى: جديد اردو ادب ص ٣١ - ٣٣ ورام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو. ص ٤٠٧.

(٢) محمد حسين آزاد: آب حيات ص ٢٥ - ٢٦.

سنة ١٨٠٢م وقام مرزا كاظم بترجمة القرآن الكريم بأمر من گلكراست وترجم أيضا كتاب « تاريخ فرشته ».

وقام نهال چند لاهورى بترجمة قصة « تاج الملك وبكاؤلى » من الفارسية للأردية وقد عمل مدرسا فى كلية فورت وليم ومن أشهر مؤلفاته « مذهب عشق » المعروفة بقصة « گل وبكاولى » التى ألفت بالفارسية باسم عزت الله بنغالى سنة ١١٢٤هـ / ١٨١٠.

وقد عاصر كتاب كلية فورت وليم أدباء عظام مثل: سيد جعفر روان لكنوى وسيد افتخار الدين شهرت وعبد الكريم خان الدهلوى وخليل على اشك الذى ترجم « أكبر نامه » باسم واقعات أكبر وذلك فى ١٨٠٩م ولم يطبع، ومرزا جان طپش الذى كتب بالأردية « مثنوى » طويلاً باسم « بهاردانش » ونشرت كليه فورت وليم كلياته(١).

وفى سنة ١٢٠٥هـ/ ١٨٠٢م كتب شرى للوجى لال كوى « بريم ساكر » وقام مظهر على ولا ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م بترجمتها للأردية باسم « بتيال بچيسى » وقد انتشرت اللغة الأردية فى ذلك الوقت وأصبحت لغة يفهمها العوام فضلاً عن الخواص وكان ميرانشاء الله خان أول من كتب « قواعد اردو » سنة ١٢٢٢هـ/ ١٨٠٧م(٢).

وقد انشأت كلية فورت وليم وبذلك دخلت الطباعة الحديثة الهند لأول مرة فساهمت فى نشر الكتب باللغة الأردية وبذلك ساهمت الطباعة الحديثة فى انتشار اللغة الأردية وتطور النثر الأردى.

وقام السيد أحمد الشهيد (١٧٨٢ - ١٨٣١م) بتأسيس حركة المجاهدين فساهمت فى تطور النثر الأردى لأنهم استعملوا لغة بسيطة سهلة من أجل نشر الدعوة الإسلامية ووعظ المسلمين ومن أجل نشر أفكاره الإصلاحية وقد كتب المجاهدون رسائل وكتبًا عديدة فترك لنا السيد أحمد الشهيد كتبًا كثيرة أشهرها « ترغيب جهاد » و« هداية المؤمنين » و« نصيحة المؤمنين » و« موضح الكبائر » و« البدعات » و« مائة مسائل » وغيرها وكتب شاه عبد العزيز (توفى ١٢٢٩هـ) « فتاوى عزيزية » باللغة الفارسية وقام مولانا شاه رفيع الدين (١١٦٣ - ١٢٣٣هـ) بترجمة القرآن إلى الأردية، وترجم شاه عبد القادر (١١٦٧ - ١٢٣٠هـ) أيضا القرآن الكريم سنة ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م وكتب تفسيراً له يسمى « موضح القرآن » وكتب شاه محمد إسماعيل - الذى شارك السيد أحمد الشهيد

(١) رام بابو سكسيته : تاريخ ادب اردو. ص ٤٠٩ - ٤١١.

(٢) محمد حسين آزاد : آب حيات. ص ٢٥، ٢٦.

فى جهاده واستشهد فى بالاكوت ١٢٤٦هـ - رسالة التوحيد و«صراط مستقيم» وتنوير العينين» و«تقويت الإسلام» وبذلك ساهمت أسرة شاه ولى الله الدهلوى فى نشر علوم القرآن والسنة النبوية فى شبه القارة الهندية(١).

وهكذا ساهمت كلية فورت وليم والطباعة الحديثة وحركة المجاهدين فى نشر اللغة الأردية وتطور النثر الأردى وبدأت العلوم والفنون الجديدة تنتشر فى الهند عن طريق كلية دهلى «دهلى كالج» ففى سنة ١٨٢٥م أسست كلية دهلى «دهلى كالج» وكانت تمثل صحوة فى شمال الهند وكان لها نفس الدور الذى كان لكلية فورت وليم فى جنوب الهند، فبينما ركزت كلية فورت وليم على النواحى الأدبية واللغوية وتعليم الإنجليز القادمين للهند اللغة الأردية والفارسية والثقافية الهندية فإن كلية دهلى بدأت عملها بحصر عناصر الشرق والغرب معًا تحت سقف واحد فقام أساتذتها ومدرسوها بكتابة مؤلفات عديدة فى مجال العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية وكذلك الأدب واللغة والطبيعة والكيمياء والرياضيات والفلك وعلم السياسة والفلسفة والتاريخ والسيرة والجغرافيا والنقد والصحافة والشعر والتذاكر والمعاجم والرواية والمقال الصحفى وغيرها من المجالات العلمية والأدبية وهكذا كانت كلية دهلى علما من أعلام التجديد فى ذلك الوقت.

وقد بدأت الكلية سنة ١٨٢٥ بتدريس الفيزياء والكيمياء والرياضيات(٢) وفى سنة ١٨٢٧م افتتحت الكلية قسما للغة الإنجليزية وعلى الرغم من معارضة الناس لذلك إلا أن إقبال الطلبة على الدراسة فى هذا القسم لم يكن قليلا ففى نفس السنة التى افتتح فيها هذا القسم كان عدد الطلاب يربو على الثلاثمائة طالب.

وكان مقر الكلية فى البداية بالقرب من بوابة المدرسة الاجميرية ولكنها عندما تطورت انتقلت إلى البوابة الكشميرية وبالقرب من نهر جمنا واستقرت فى النهاية فى المكتبة الملكية وذلك فى سنة ١٨٤٣م(٣).

ولم يكن الطلبة يدفعون أى مصاريف للإلتحاق بكلية دهلى وكانت الكلية تعطى لخريجيها أكبر المناصب، ووصل التعليم فيها إلى القمة خاصة فى العلوم الرياضية

(١) رام بابو سكسينه : تاريخ ادب اردو ص ٤١٥ - ١٤٦.
(٢) مولوى عبد الحق: مرحوم دهلى كالج ص ٩، ١٤.
(٣) رام بابو سكسينه : المرجع السابق ص ٤٧٩.

والطبيعية والفنون الجديدة وكان التعليم فى هذه الكلية يتم عن طريق القاء المحاضرات لأنه لم تترجم كتب فى العلوم والفنون الجديدة حتى ذلك الوقت وكانت العلوم العربية والفارسية تدرس باللغة الأردية.

وفى سنة ١٨٤٢م افتتحت فى الكلية « دار للترجمة » لنشر العلوم الغربية باللغة الأردية وقد ضمت هذه الدار كثيرا من العلماء الهنود والإنجليز وبجهودهم ترجمت أعداد كبيرة من الكتب فى شتى المجالات وقامت حركة تأليف وترجمة واسعة فى مدن الهند الكبرى مثل: أگرا وبنارس ولكناؤ وهذه الكتب موجودة الآن فى مكتبة المكتب الهندى وقد استفاد النثر الأردى من حركة الترجمة استفادة كبيرة وبدأت الكتب تؤلف بلغة بسيطة سلسة بلا تعقيد أو تكلف(١).

وقد ساهم عدد كبير من الأساتذة الانجليز والهنود فى التدريس فى كلية دهلى وعلى رأس هؤلاء السيد تيلر مدير هذه الكلية الذى مات فى ثورة ١٨٥٧م وبيندت أجود هياپرشاد وبطرس شبرنجر ووزير على وأمير على ومملوك على أستاذ اللغة العربية(٢) ورام چندر استاذ الرياضيات الشهير وامام بخش صهبائى أستاذ اللغة الفارسية والذى قام بإصلاح أشعار أكثرامراء المغول فى عصره ومات أثناء ثورة ١٨٥٧م.

وقد تعلم فى كلية دهلى كثير من مشاهير الهند وأدبائها الذين ساهموا فيما بعد فى تطور اللغة الأردية ومنهم: مولوى نذير أحمد الذى ترجم العديد من كتب القانون إلا أن شهرته ترجع إلى قصصه الإصلاحية، ومحمد حسين آزاد الذى ترك ثروة أدبية ونقدية عظيمة وبيارى لال آشوب ومولوى ذُكاء الله ومنهم من وصل إلى مناصب عظيمة فى الهند مثل شهامت على الذى أصبح وزيرا لرياسة اندور، والدكتور مكندلال الذى كان مشهورا ومعروفا فى شمال الهند باكمله وغيرهما(٣) ويذكر رام بابوسكسينه أن حالى تعلم فى كلية دهلى إلا أن حالى كان قد نفى ذلك فى ترجمته لحياته حيث قال: لم أحصل من التعليم الانجليزى أى قدر فعندما وصلت إلى دهلى كنت أقيم فى مدرسة حسين بخش ليلا ونهارا وكان الناس يعتبرون جميع الطلبة والمدرسين الذين تعلموا فى كلية دهلى جهلة ولم أفكر فى التعليم الإنجليزى ولم أذهب لرؤية هذه الكلية

---

(١) رام بابو سكسينه : تاريخ ادب اردو ص ٤٧٩ – ٤٨٠.

(٢) مولوى عبد الحق: مرحوم دهلى كالج ص ٣٥.

(٣) رام بابو سكسينه. المرجع السابق. ص ٤٧٩.

كما لم التق بالذين تعلموا فيها فى ذلك الوقت مثل مولوى ذكاء الله ومولوى نذير أحمد ومحمد حسين آزاد وغيرهم»[١].

وقد اغلقت كلية دهلى ابوابها فى ثورة ١٨٥٧م بعد أن مات مديرها تيلرُ وامام بخش صهبائى. وعندما قتل عالمگير قام ولى عهده مرزا عبد الله على جوهر باعلان نفسه ملكا وتلقب بشاه عالم وكان فى ذلك الوقت يعيش تحت رعاية شجاع الدولة ملك أودهـ وبعد أن تخلص أحمد شاه الابدالى من المرهتها واراد ان يرحل عن الهند أقر شاه عالم ملكا وعماد الملك وزيرا ونجيب الدولة قائدا للجيش[٢].

ورغم رحيل أحمد الابدالى عن الهند ظل شاه عالم غائبا فى منفاه بالشرق لفترة طويلة حاول فيها استخلاص البنغال من ايدى البريطان ولم يفلح فى ذلك وإن كان قد أفلح فى انقاذ لقب المملكة من الضياع[٣].

وقد شهدت الهند فى هذه الفترة اضطرابات عديدة من جانب المرهتها والسيخ والافغان وتحولت المملكة إلى ولايات منفصلة وابتعد الملك فى منفاه[٤].

وقد عاد شاه عالم إلى دهلى سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧٢ فى كنف المراهتها إذ أعاده إليهاملكهم مادها فاراو فعينه شاه عالم على إمارة الجيوش وصارت الدولة تحت امرة المرهتها حتى جاء غلام قادر خليفة نجيب الدولة وقبض على شاه عالم واسمل عينيه سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م فقضى على ما تبقى من هيبة الملك و ظل المرهتها يثبتون اقدامهم إلى أن اطبق البريطانيون على دهلى سنة ١٨٠٣م بقيادة ولزلى وصار الملك المغولى يتقاضى راتبا شهريا من البريطانيين ويعمل وفق أوامرهم إلى أن توفى سنة ١٢٢١هـ/١٨٠٦م[٥]. و حين قضى شاه عالم خلفه ابنه أكبر شاه الثانى ليقضى حياة يغلب عليها الخمول والضعف وخلفه ابنه بهادر شاه الثانى عام ١٨٣٧م ليعيش بدوره على الرزق الذى كان يجريه البريطانيون على ابيه من قبل بعيدا عن كل نشاط سياسى أو

---

(١) حالى ترجمة حالى ص ٣٣٥.

(2) SPEAR: TWILIGHT OF MUGHULS. STIDIES IN LATE MUGHUL Ca MBRIDGE UNIVERSITY PRESS. 1951. P. 14 - 15.

(٣) أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية. جـ٢ . ص ٦٤٦.

(4) EL-PHINSTINE. HISTORY OF INDIA, THE HINDU AND MOHAMATAN PERIODS, TIRD EDITON LONDON, 1849. P. 669.

(٥) أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهند وباكستانيه جـ٢، ص٢٣٣ – ٢٣٤.

مشاركة فى الحكم[١].

وفى السادس من ذى القعدة سنة ١٢٧٣هـ العاشر من مايو ١٨٥٧م قامت الثورة الهندية وقد قام بهاجنود معسكر ميريت[٢] حيث قامواباشعال النار فى المبانى داخل قلعة ميريت وحطموا السجون وحرروا السجناء. ثم انطلقوا بعد ذلك إلى دهلى فدخلوهاوقاموا بقتل عدد كبير من البريطانيين[٣] ثم توجهوا إلى بهادر شاه ظفر وطلبوا منه قيادة الثورة على الرغم من أنه لا يملك جيشا أو مُلكا ولكنهم أرادوا أن يكون لهم رمزا[٤].

ولكن الثورة فشلت لعدم وجود إمدادات مادية كافية وجهل قوادها بتنظيمها ولأسباب أخرى سنذكرها فيما بعد. وقد قام الانجليز بمحاكمة بهادرشاه ظفروقرروا نفيه إلى رانجون فى بورما هو وأسرته فى أكتوبر ١٨٥٨م، وظل بهادر شاه ظفر فى رانجون إلى آخر حياته حيث توفى فى السابع من نوفمبر سنة ١٨٦٢م ودفن هناك[٥] وبذلك انتهت فترة حكم الدولة المغولية فى الهند وفى سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٨م أعلنت الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا ضم الهند إلى التاج مباشرة[٦] وخروجها من سلطة شركة الهند الشرقية وعينت اللورد كيننج حاكما عاما للهند تحت سلطة التاج وتفرغ الانجليز بعد ذلك لاذلال الهنود عامة والمسلمين خاصة وأذاقوهم من ضروب الانتقام والتنكيل مما لا يتسع المجال لسرده.

ولم تكن الثورة الهندية ثورة سياسية فى تاريخ شبه القارة الهندية قامت فيها حكومة مكان أخرى فحسب بل كانت ثورة حضارية ونهاية ثمانية قرون من حكم المسلمين ونفوذهم فى الهند ونهاية لحضارة المسلمين وجهودهم فى قرون وصار المسلمون محكومين إذلاء بعد ماكانوا سادة واضطهدوا من الانجليز والهندوس والقى الانجليز بمسئولية قيام الثورة كاملة على عاتق المسلمين واعتبروهم روح هذه الثورة لأنهم قد

---

(١) أحمد محمود الساداتى: المرجع السابق ص ٢٤٣ - ٢٤٤.

(2) MORELAND, ASHORT HISTORY OF INDIA. SECOND EDITION, LONDON, 1944. P. 369.

(3) SPEAR: OP. CIT., P. 201.

(4) SPEAR: OP. CIT., P. 205.

(5) SPEAR: OP. CIT., P. 226-227.

(٦) أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية. جـ٢، ص٦٤٦.

سلبوا الحكم من أيديهم. وفى هذا شيء من الحقيقة لأن ثورة ١٨٥٧م كانت بمثابة حلقة من حلقات جهاد المسلمين المتواصل لطرد الانجليز من الهند بداية من السلطان سراج الدولة والسلطان تيبوفى البنغال ونهاية بالسيد أحمد الشهيد فى البنجاب والحركات الإسلامية فى جميع أنحاء الهند.

وقد أكد السير سيد أحمد خان (١٨١٧ - ١٨٩٨م) هذه المخاوف التى كانت تدور فى خلد المسلمين فى ذلك الوقت عندماكتب رسالة «أسباب بغاوت هند» أى أسباب ثورة الهند وذكر فيها أن مخاوف المسلمين كانت فى محلها وخاصة أن الإنجليز تدخلوا فى أمور دينهم فى نفس الوقت الذى انهمك فيه المبشرون فى الدعوة للديانة المسيحية، وعلى كل حال فقد فشلت ثورة ١٨٥٧م وسام الإنجليز المسلمين العذاب وتغيرت السيادة فى الهند وحاول الهندوس تسلم القيادة من المسلمين بعد ثمانية قرون من حكمهم وصارت الثروة فى يد الإنجليز ولم يعد للمسلمين إلا البكاء على أطلال ماضيهم(١).

وفى تلك الأثناء ظهرت فى الهند حركة سياسية اجتماعية هى حركة «على گرطهـ» التى رادها السير سيد أحمد خان وكان يهدف إلى إصلاح أحوال المسلمين المتردية والخروج بهم من كبوتهم وحاول أن يزيل سوء الفهم بين المسلمين والانجليز وخلّف جواً من التفاهم والتعاون معهم لأنه - فى رأيه - لن يتقدم المسلمون دون إقامة جسور التفاهم مع الإنجليز وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التى لاقاها من المسلمين لعدم استساغتهم لطريقته فى الإصلاح حتى اتهموه بالتملق والعمالة للإنجليز وصدرت الفتاوى تكفره إلا أنه استمر فى حركته بإيمان وإخلاص وكانت حركة على گرطهـ بداية لحركة أدبية جديدة فى الأدب واللغة الأردية اتجهت إلى الأدب الإصلاحى الهادف وأعلن السير سيد أن الهدف من الشعر والأدب هو الإصلاح وفلاح القوم وأن اللغة ما هى إلا وسيلة لإظهار الأفكار فلذلك يجب على الأدباء أن يختاروا اللغة السهلة السلسة بلا تكلف أوصنعه(٢) وقام بنفسه بإعادة صياغة كتابه «آثار الصناديد» فى لغة سهلة سلسة وكتب عدة كتب ساهمت فى تطور النثر الأردى هى رسالة «أسباب بغاوت هند» التى كتبها سنة ١٨٥٨م وطبعت سنة ١٨٦٣م و«وفادار مسلمانان هند» أى وفاء مسلمى

---

(١) أبو الليث صديقى: جديد اردو ادب ص ٣٥ - ٣٦.

(٢) محمد معين الدين دردائى: تحقيقى مقالے. ص٦٩.

الهند وكتب تفسيراً للإنجيل سماه «تبيين كلام»، وقام فى ٤ ديسمبر ١٨٧٠م بإصدار مجله «تهذيب الأخلاق» على غرار مجلتى «إسبكتير» و«أورتيتلر» الإنجليزيتين اللتين كانتا تصدران فى لندن ويديرهما «اديسون» و«استيل» وكان السير سيد يقوم بترجمة هاتين المجلتين أو يلخص أفكارهماثم ينشر ذلك فى مجلة «تهذيب الأخلاق» إلى جانب ما يقوم بكتابته بنفسه حول الموضوعات الخاصة بالتعليم الجديد والعلوم الحديثة وقد ساهمت هذه المجلة مساهمة فعالة فى تغيير أساليب الكتابة وموضوعاتها مما ساعد على ازدهار النثر الأردى(١)، وقد ألقت ثورة التحرير ١٨٥٧م بظلالها على الحياة بصفة عامة وعلى الأدب الأردى بصفة خاصة وقد واجه السيرسيد ورفاقه عواقب فشل هذه الثورة من جانب الحياة الاجتماعية والأدبية وألقى الضوء على جميع جوانب الحياة والأدب وكان الشعر والأدب الأردى فى ذلك الوقت تصوراً ناقصًا ومحدوداً فى نطاق لغة الحديث اليومية بين العوام أو فى نظم الشعر ولم يكن الأدب ترجمانا للحياة والواقع فحسب، بل كان غريبًا عن متطلبات الحياة وحقائق الكون.

وقد ساند السير سيد فى حركته كثير من الأدباء المؤيدين لأفكاره وساهموا بذلك فى نشر الحركة الأدبية فى الهند فى تلك الفترة وكانت بصماتهم واضحة على الأدب الأردى حتى اليوم وعلى رأس هؤلاء الأدباء ألطاف حسين حالى (١٨٣٧ - ١٩١٤م) ومحمد حسين آزاد (توفى: ١٩١٤م) ونذير أحمد (١٨٣١ - ١٩١٢) وشبلى النعمانى (١٨٥٧ - ١٩١٤) وذكاء الله (١٨٣٢ - ١٩١٠م) ونواب محسن الملك (١٨٣٧ - ١٩٠٧م) ونواب وقار الملك (١٨٣٩ - ١٩١٧م) ومولوى چراغ على (١٨٤٤ - ١٨٩٥م) ومولى سيد أحمد الدهلوى (ولد سنة ١٨٤٦م) وقد كتب هؤلاء الأدباء كتبًا قيمة فى جميع الموضوعات كالتاريخ والفلسفة والسياسة والدين والأخلاق والعلوم وهيأوا الألفاظ والمصطلحات المناسبة فى اللغة الأردية لتواكب العصر مما كان له عظيم الأثر فى ظهور حركة التجديد والبعث فى الأدب الأردى(٢).

وقد تميز حالى بالكتابة فى موضوعين أظهر فيهما النبوغ والتفوق وهما فن كتابة التراجم والنقد الأدبى، فكتب فى التراجم: «حيات سعدى» و«يادگار غالب» و«حيات

---

(١) سيد احمد خان: أسباب بغاوت هند. نقلا عن كتاب «حيات جاويد» لألطاف حسين حالى من ص ٨٨٦ حتى ص ٩٢٩.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو: ص ٤٢٢ - ٤٢٣.

جاويد» وأسس حالى بذلك فن التراجم فى اللغة الأردية ومنحها قدراً كافيًا من القوة والاستدلال والشمول بحيث أصبحت الآن فى الأدب الأردى نماذج كاملة يحتذى بها فى هذا الفن الأدبى وكان فن كتابة التراجم قبل حالى قاصراً على حياة السلف وأعمالهم فقط مع إضفاء نوع من المبالغة وهالة من التقديس لهذا البطل أو ذاك لإثبات تفوقه غير العادى، أما حالى فقد قدم شخصيات واقعية معاصرة له وقيّم فيها جوانب كل شخصية مع إبراز المحاسن والعيوب دون مبالغة. أما الموضوع الثانى الذى برع فيه حالى فهو النقد الأدبى فكتب أول كتاب منهجى فى النقد الأردى وهو «مقدمه شعر وشاعرى» وهو موضوع بحثنا فى الصفحات القادمة.

وعلاوة على هذا فقد كان حالى شاعراً ورائداً للشعر الأردى الحديث وقدم نماذج شعرية قيمة فى الشعر القومى وشعر الطبيعة.

وكان محمد حسين آزاد كاتب نثر ومؤرخًا وناقداً أدبيًا وشاعراً وعالم لغويات وله أسلوب متفرد وشارك حالى الدعوة للشعر الجديد وكتب عدة كتب نثرية قيمة فى اللغة والأدب هى: آب حيات «ورتب ديوان ذوق» و«دربارا كبرى» و«نگارستان فارس» و«نيرنگ خيال»(١).

أما شبلى النعمانى فقد كان آخر حلقة فى سلسلة رفاق السير سيد فاخذ عنه الاستدلال المنطقى وعن آزاد التحقيق والتدقيق وعن حالى الصفاء والبساطة فى الأسلوب كما أخذ من نذير أحمد قوة البيان وبذلك اكتسب شبلى النعمانى جميع مزايا معاصريه فى كتابة النثر وبرع فى مجال كتابة التاريخ وفلسفته فكتب سلسلة تراجم لمشاهير الإسلام وعلى رأسهم الفاروق عمر بن الخطاب و«المامون» و«سيرة النعمان» وغيرها وكان نذير أحمد الدهلوى أول من برع فى فن الترجمة فترجم العديد من الكتب الإنجليزية للغة الإردية أبرزها كُتب القانون، وانفرد عن اقرانه بكتابة القصة والرواية فكان بحق أول قاص وروائى اردى وضّح كثيرا من القضايا الاجتماعية فى رواياته باسلوب قصصى واقعى شائق بعيدا عن الأسطورة والخيال فترك لنا «توبة النصوح» و«مرآة عروس» و«بنات النعش» و«ابن الوقت» وغيرها من القصص.

وترك ذكاء الله عدة كتب فى الرياضيات والتاريخ والجغرافيا والطبيعة والكيمياء وعلم السياسة، وكتب مولوى سيد أحمد الدهلوى المعجم الأردى الشهير «فرهنگ

(١) محمد معين الدين. تحقيق مقالے ص ٧٣.

آصفيه»[١] وعلى الرغم من أن هؤلاء الأدباء كتبوا فى موضوعات متباينة ومختلفة وفى فروع مختلفة من فروع الأدب إلا أنهم كانوا يلتقون جميعا على هدف واحد ومذهب أدبى واحد وهو حركة التجديد فى الأدب الأردى التى سميت بحركة على گرطهـ الأدبية واحدثوا ثورة عارمة فى مجال النثر الأردى مما كان له ذور كبير فى اثرائه ليواكب حركة العصر الحديث وليكون فى خدمة المجتمع.

الصحافة الأردية :

عرفت الدولة المغولية فى أيام الملك أكبر الصحف فى صورتها الأولية حيث كانت أخبار المملكة تقدم إليه يوميًا على هيئة «تقارير» يقوم بكتابتها مجموعة من أدباء البلاط وكان الهدف منها كتابة أخبار الملك والبلاط والوزراء والأمراء ووصف المعارك والحروب وندوات الشعر وغيرها من مظاهر الحياة الملكية وبذلك كانت هذه التقاريرقاصرة على الأسرة الملكية والحاشية دون بقية الشعب.

ولم تكن هذه التقارير صحافة بالمصطلح الحديث لهذه الكلمة، ومع دخول شركة الهند الشرقية إلى الهند ودخول الطباعة معها عام ١٨٠٥م بدأت تصدر عدة جرائد وصحف فى بومباى ومدارس وصدرت أول صحيفة إنجليزية فى كلكتا باسم GEN-ERAL ADVERTISER أى المبلغ العمومى عام ١٨١٨م ثم صدرت جريدة أخرى باللغة الإنجليزية هى «INDIA GAZETTE» أى جريدة الهند الرسمية عام ١٨٢٠م وكانت هذه الصحف تهتم بنشر الأخبار السياسية والتجارية للشركة وخدمة أهدافها الاستعمارية ولم يكن نصيب الفرد العادى منها شيئا وقد احتكر الانجليز إصدار الصحف وراقبوا ذلك مراقبة صارمة[٢]. ونتيجة لتطور الطباعة صدرت مجلات وصحف عديدة باللغة الأردية وأحدث ذلك طفرة كبرى فى تزويد العامة بالمعلومات الكافية والصادقة عن الأحداث التى تدور فى العالم وقد أدى ذلك أيضا إلى إتاحة الفرصة للكتّاب لتناول الموضوعات المختلفة فصاغوا الموضوعات الأوربية بلغتهم الأردية، وفى عام ١٨٣٢م أصدر الإنجليز قرارًا بإلغاء اللغة الفارسية كلغة رسمية للهند وجعل اللغة الأردية لغة رسمية بدلا منها مما كان له بليغ الأثر فى تطور اللغة الأردية[٣]. وفى سنة ١٨٣٦م حصلت الصحف

---

(١) رام بابو سكسينه. تاريخ ادب اردو ص ٤٦٥.

(٢) عبد السلام خورشيد: كاروان صحافتى ص ١٠٩ - ١١٠.

(٣) رام بابو سكسينه: تاريخ أدب اردو ص ٤٣٧.

والمطبوعات على حريتها وأصدر مولوى محمد باقر حسين والد الأديب محمد حسين آزاد أول صحيفة باللغة الأردية هى «ارد وأخبار» ولم تكن صحيفة بالمعنى الحديث بل كانت عبارة عن مجموعة من الأخبار المتفرقة وكانت عبارة عن ورقة أدبية تنشر بين الحين والحين غزليات ذوق وغالب ومؤمن والشعرا ءالمعاصرين لهم، وفى سنة ١٨٥٠ أصدر منشى هرسنگ راى صحيفة «كوه نور» فى لاهور تحت أشراف حكومة الشركة وكان لهذه الصحيفة شهرة واسعة فى انحاء الهند وصدرت هذه الجريدة أسبوعيا فى البداية ثم صدرت مرتين ثم ثلاث مرات فى الأسبوع واغلقت فى النهاية(١).

وقام منشى نولكشور والفريق الذى كان يعمل معه بإصدار عدة صحف مثل «مشعلة طور» و«مطلع نور» فى كانپور و«پنجابى اخبار» و«انجم اخبار» فى لاهور و«اشرف الاخبار» فى دهلى و«فيكتوريا اخبار» فى سيالكوت و«قاسم الاخبار» فى بنگلور و«كشف الاخبار» فى بمباى و«كارنامه» فى لكناؤ «و«جريدة روزگار»، فى مدارس ولكن سرعان ما توقفت هذه الصحف عن الصدور وقام منشى نولكشور بإصدار صحيفة «اوهـ اخبار» سنة ١٨٥٨م وكانت مادة هذه الصحيفة فى الغالب عبارة عن مجموعة من الأخبار المترجمة عن الصحف الانجليزية وصدرت هذه الصحيفة أسبوعية فى البداية ثم أصبحت تصدر يومية وكانت تضم مجموعة من الكتاب الكبار(٢).

ثم صدرت جريدة خاصة بالمسلمين فى مدراس هى «شمس الأخبار» ولكنها أغلقت بعد فترة قصيرة وأصدر پندت مكند رام صحيفة «أخبار عام» وكانت جريدة خاصة رخيصة الثمن وتولت حكومة الشركة الإشراف عليها بعض الوقت وكانت توزع على المدارس وصدرت هذه الصحيفة فى البداية أسبوعية ثم أصبحت تصدر يومية وكانت تضم مجموعة كبيرة من الكتاب إلا أن لغتها كانت تفتقر إلى الخصائص الأدبية(٣).

وفى ٢٤ ديسمبر سنة ١٨٧٠م أصدر السير سيد أحمد خان جريدة «تهذيب الأخلاق» على غرار الصحف الإنجليزية التى رآها فى لندن أثناء زيارته لها وكانت هذه الجريدة لسان حال حركته من أجل نشر الحضارة الغربية والعلوم الجديدة وكان لهذه الجريدة دور بارز فى تطور النثر الأردى حيث كانت تُكتب بأسلوب بسيط سهل يفهمه

---

(١) محمد حسين آزاد. آب حيات. لاهور (ب.ت) ص٣٥.

(٢) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو. ص ٤٩٥.

(٣) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو، ص٤٩٦.

العامة والخاصة واستمرت هذه المجلة فى الصدور حتى سنة ١٨٩٧م وكانت أول جريدة لها سمات الصحف الحديثة التى تصدر اليوم وكتب حالى فى هذه الجريدة مقالات عديدة خاصة بالأدب والشعر والنقد الأدبى وجُمعت مقالاته التى كتبها فى هذه الصحيفة والصحف الأخرى فى جزءين تحت اسم «مقالات حالى» واشترك فى تحرير هذه المجلة معظم رفاق السير سيد وعلى رأسهم وقار الملك ومحسن الملك وچراغ على ونذير على وغيرهم. وقد جمع مجلس تطوير الأدب الأردى «مجلس ترقى أدب» بلاهور هذه المقالات فى عدة مجلدات كان نصيب السير سيد منها عشرة مجلدات.

وفى سنة ١٨٧٧م صدرت جريدة «أودَ هـ پنچ» فى لكناؤ وكانت جريدة ساخرة نالت إعجاب الناس منذ نشأتها لأسلوبها الفكاهى الساخروبدأ الجميع يقلدونها وخاصة ما كان يكتب فيها عن الحرية والحضارة والمقلدين للغرب وخاصة السير سيد ورفاقه الذين لم يسلموا من انتقادهم وانتقدت هذه الصحيفة ألطاف حسين حالى لتأييده حركة على گرطهـ ودعوته لشعر الطبيعة والشعر الجديد، وحررت هذه الصحيفة بأسلوب راق وكانت تدافع عن التقاليد الإسلامية وتدعو إلى الثقافة الإسلامية على عكس صحيفة «تهذيب الأخلاق» التى روجت للحضارة الغربية فى الهند، وأشرف على إدارة هذه الصحيفة الكاتب سجاد حسين ولفيف من أصحاب الأسلوب الفكاهى اللاذع.

وفى سنة ١٨٨٣م صدرت فى لكناؤ جريدة «رفيق هند» وكانت أول جريدة أردية تتناول الأحداث والوقائع السياسية وصدرت فى البداية أسبوعية ثم صدرت مرة كل ثلاثة أيام إلا أن لغتها لم تكن أدبية.

وفى سنة ١٨٨٧م أصدر منشى محبوب عالم جريدة «بيسه أخبار» وكانت رخيصة الثمن إلا أن موضوعاتها كانت قيمة فاقبل عليها الجميع وكتب حالى فيهاعدة مقالات تتعلق بالشعر والأدب الأردى(١).

وقد أدت حركة الصحافة الحديثة فى الهند إلى جانب الطباعة إلى تطور اللغة الأردية وانتشارها فى أرجاء الهند وأخذ النثر الأردى بصفة خاصة يزدهر وخاصة فن كتابة المقال الصحفى مما كان له بليغ الأثر فى تطور أسلوب الكتابة الأردية وإثراء اللغة الأردية بالمصطلحات الحديثة وتطورت الأبحاث فى أصل اللغة الأردية وقام العالم اللغوى

---

(١) رام بابو سكسينه: تاريخ ادب اردو. ص ٤٩٧.

شوكت سبزوارى بكتابة عدة كتب تناولت علم اللغة الأردية أهمها «أردو لسانيات» أى علم اللغة الأردية و«داستان ربان أردو» أى قصة اللغة الأردية وكتاب «أردو زبان كا ارتقا» أى تطور اللغة الأردية.

وهكذا تطورت اللغة الأردية وكانت كالنحلة التى ترتاد الحدائق وتمتص من رحيق أزهارها المختلفة فى اللون والرائحة والمذاق لتحوله إلى عسل صاف فيه شفاء للناس فأخذت فصاحة العربية وجمال الفارسية وسلاستها وقوة التركية وأصبحت فى العصر الحديث إحدى لغات الحضارة الإسلامية.

obeikandl.com

الحركات الإسلامية فى الهند فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر

عندما دخل المسلمون الهند منتصرين تربعوا على عرض السلطة هناك أكثر من ثمانية قرون بسبب تفوقهم العسكرى وأسلوب حكمهم وحضارتهم التى تركت بصمات واضحة على أرض الهند، نعم كانوا أجانب عن الهند ولكن عندماجاءوا إليها وأقاموا بها أصبحت الهند وطنهم وصارت مصلحة الهند مصلحتهم وعندما طال بهم المقام تضاءل – بالتدريج – الإحساس لديهم بالغربة وتعانقت الحضارتان الإسلامية والهندية – على الرغم من اختلافهما – مكونتين حضارة ثالثة تمتزج فيها خصائص الحضارتين ألا وهى حضارة الهند الإسلامية وقد حصل المسلمون على امتيازات كبيرة من الناحيتين السياسية والاقتصادية واستمرت هذه الامتيازات طالما كانت الحكومة فى يد المسلمين.

وكان ازدهار الحضارة فى عهد المغول من الأحداث الهامة فى تاريخ الهند فقد بنى ملوك المغول صرح هذه الحضارة بحسن تدبيرهم لأمور مملكتهم ولكن لم يستطع خلقائهم الضعاف من بعدهم المحافظة على هذه الحضارة وفى وقت قصير ظهرت الفتن واجتمعت على الدولة المغولية كل قوى التخريب وخاصة المرهتها والسيخ والروهيلا الذين تفاقم شرهم وألحقوا بالدولةأضرارا جسيمة أدت بهم فى النهاية إلى الوقوع فى براثن الاستعمار الانجليزى، فبعد وفاة اورنگزيب ضعفت الحكومة المركزية واستقل حكام الأقاليم وذهب وقار الأمراء المغول وسيطرت عليهم أهواؤهم الشخصية ومصالحهم الخاصة وتعاركوا فيما بينهم على الحكم حتى تزلزلت اركان دولتهم كما فسدت القيم الأخلاقية وانعدم الشعور بها لدى العامة واضمحل اقتصاد الدولة عندما بدأ الأمراء ينفقون أموال الدولة فى الحروب والمؤامرات(١).

وقد انعكست هذه الأوضاع السيئة على الناحية الدينية فعمت البدع والخرافات وابتعد الناس عن الدين ونسى المسلمون روح الإسلام فعم الفساد الأخلاقى وانتشرت الأمراض الاجتماعية ولم يعد هناك فرق واضح بين المسلمين والهندوس من حيث

---

(١) سيد أبو مظفر ندوى: مختصرتاريخ هند. طبعة ثانية. سلسلة دار المصنفين معارف اعظم گرط هـ ١٩٣٨م ص١١٠.

التقاليد الاجتماعية فبدأت البدع الهندوسية فى الدفن والزواج وغيرها تنتشر بين المسلمين – رغم مخالفتها للشريعة الإسلامية – بسبب التأثير المكانى، وكان الوقت مناسبا والبيئة صالحة لظهور مصلحين اسلاميين فى وسط هذه الفوضى والاضطرابات الاجتماعية والدينية لشرح تعالم الإسلام من جديد وبزغ نجم شاه ولى الله الدهلوى الذى حاول اصلاح أحوال المسلمين(١). ولم تظهر أى علامات على ضعف حياة المسلمين الاجتماعية – فى الظاهر – حتى وفاة أونگزيب ولكن فى الحقيقة أن الفساد العقلى والاجتماعى كان قد بدأ فى الظهور منذ عهد الملك أكبر لذا نرى أن حركة احياء الدين التى نادى بها الشيخ أحمد السرهندى فى عهد الملك جهانگير كانت قوية وضمت تحت لوائها مئات العلماء وقام الشيخ السرهندى بمحاولة إزالة الركود الفكرى وأكد على اتباع القرآن والسنة وتمسك المسلمين بعقائد هم وظهر أثر هذه الحركة على أكمل وجه فى عهد شاهجهان وأرنگزيب الدى بموته تعرضت الحياة الاجتماعية للخطر نتيجة الضعف السياسى ومحاولة الإنجليز الهيمنة على حكم الهند(٢). وقد ضاعف الاحتلال الانجليزى من المساوئ الاجتماعية للمسلمين وأفسد حياتهم وكان رد فعل المسلمين إزاء ذلك متمثلاً فى حركتين مختلفتين ومتضادتين هما:

أ – **الحركة الأولى**: عارضت الإنجليز ورفعت راية الجهاد لتخليص الهند منهم لكى تقيم الحكومة الإسلامية وتزامنت هذه الحركة مع بداية السيطرة الإنجليزية وياتى السيد أحمد الشهيد زعيم حركة المجاهدين على رأس هذه الحركة التى واصلت جهودها لتحرير الهند من الإنجليز بعد وفاة شاه ولى الله الدهلوى واستمرت هذه الحركة حتى عام ١٨٧٢م وكانت مدرسة « ديوبند » هى قلعتهم العقيدية المنادية بأفكارهم الإصلاحية.

ب – **الحركة الثانية**: وهى حركة على گرطهـ وبدأت عام ١٨٧٠م وكانت تدعو إلى التفاهم والتصالح مع الإنجليز ورادها السير سيد أحمد خان، وكلية على گرطهـ هى مركزهم الفكرى.

وسوف أتناول فى الصفحات القادمة ظروف نشأة هاتين الحركتين ودورهما فى الحياة الاجتماعية فى هذه الحقبة الهامة من تاريخ الهند لما لهما من دور بارز فى تطور النثر الأردى، أما الجانب الفكرى للحركتين فسأتناوله عند الحديث عن الحياة الفكرية.

---

(١) محمد اكرام: موج كوثر. ص١٣ – ١٤.

(٢) عبيد الله سندهى: شاه ولى الله كے سياسى تحريك. لاهور. ط١. ١٩٤٥م ص١٧.

الحركة الأولى: معارضة الإنجليز والحركات الإسلامية

أ - حركة شاه ولى الله الدهلوى (١٧٠٢ - ١٧٦٢م) نـ

قامت هذه الحركة الإصلاحية فى الهند فى الوقت الذى كان العالم الإسلامى يغص بالحركات الإصلاحية والثورية التى كانت تنبعث من آن لآخر ضد الحكومة الإنجليزية ولم يكن لدى المسلمين أية وسيلة يستطيعون بها منع القوى غير الإسلامية الأخرى فى الهند مثل السيخ والمرهتها والجات بالإضافة إلى الإنجليز والقضاء عليهم خاصة فى الوقت الذى ضعفت فيه الإمبراطورية المغولية ولم يعد لها أى دور حقيقى فى حكم الهند وقد عم المجتمع الفقر وانتشرت الأمراض الاجتماعية بين المسلمين وخاصة النفعية والأنانية وعدم الشعور بالأمان فلا أمل فى الخروج من هذه الحالة، ولم يلح فى الأفق أى علاج لها، ولكن هذا النوع من الاضطراب وسوء الأوضاع الاجتماعية كان بيئة صالحة لظهور المصلحين والمفكرين الذين يدرسون الأوضاع والأحداث بعمق ويقترحون الحلول المناسبة لها، وفى هذه البيئة المضطربة ولد شاه ولى الله فى دهلى وأسس المدرسة الرحيمية التى أصبحت فيما بعد نواة لحركته الإصلاحية، وقد كان عالماً فذا وهبه الله بصيرة نافذة وعقلاً راجحاً فقام باستعراض مفصل لحالة المسلمين المتردية فى الهند فى منتصف القرن الثامن عشر وقد اعتبر أن المشاكل الاجتماعية التى يواجهها المسلمون كانت نتيجة لضياع السلطة منهم وتفشى الفساد الأخلاقى بين المسلمين لذلك كان الهدف الأساسى لحركته هو إحياء الأخلاق القويمة فى مجتمعه والقضاء على النظام الرجعى فى الحكم وإقامة نظام حكم جديد لذلك اعتبر شاه ولى الله الجهاد ضرورياً لتنفيذ أهدافه، وفى بداية جهوده الإصلاحية اتجه أولاً إلى الملك فى محاولة لإيقاظه من نوم الغفلة لكنه فشل فاتجه إلى الأمراء ولكنهم لم يسمعوا إليه.

وقد اهتم شاه ولى الله بالنظام الاجتماعى فى الهند وأكد على أن تماسك المجتمع ينحصر فى مدى فعالية العلاقة بين الحاكم والمحكوم فيقول فى كتابه «حجة الله البالغة» فى باب «سيرة الملوك»: يجب أن يكون الملك متصفاً بالأخلاق المرضية، وإلا كان كلاً على المدينة، ولا يألوا جهداً فى إصلاح المدينة، ولما كان الملك لا يستطيع إقامة هذه المصالح كلها بنفسه وجب أن يكون له بإزاء كل حاجة أعوان، ومن شرط الأعوان الأمانة

والقدرة على إقامة ما أمُر به، ويجب على الملك أن يسأل كل يوم ما فيهم من الاخبار ويعلم ما وقع من الإصلاح وضده(١)، وقد أكد شاه ولى الله الدهلوى على أهمية الضرائب فى تنظيم المدينة.

ويرى بالنسبة لتنظيم اقتصاد المدينة أنه « يجب على أهل المدينة أن يكون توزعهم فى الإقبال على الاكساب بحيث لا يضر بالمدينة مثل أن يقبل أكثرهم على التجارة ويدعوا الزراعة أو يتكسب أكثرهم بالغزو ونحوه، إنما ينبغى أن يكون الزراع بمنزلة الطعام والصناع والتجار والحفظة بمنزلة الملح المصلح له »(٢)، وبذلك أكد شاه ولى الله على أهمية التوازن بين الحرف والصناعات حتى يكون هناك بينهما فلا يؤدى إلى خلل فى أحدها على حساب الآخر.

وتكمن العظمة الحقيقية فى شاه ولى الله فى أنه قام بالتفكير جيداً فى الأسباب الرئيسية لتأخر المسلمين وعزا أسباب انحطاط المسلمين وفساد أخلاقهم إلى جهلهم بتعاليم الإسلام وكان يعتقد أنه يستطيع أن يقيم ثورة عازمة بعد العمل بالشريعة الإسلامية(٣)، ولاحظ عدم التوازن فى النظام الاجتماعى للهند، وأكد على رفاهية الفلاحين والحرفيين لأن النظام الاجتماعى المتماسك كان فى ذلك الوقت سنداً للنظام السياسى(٤) وكان يريد بعض الإصلاحات الفورية، بالإضافة إلى الخطط السياسية التى تحدث تغيرات فى طريق عمل المسلمين ولا تعوقها، وكانت خطته تتضمن أولاً إنقاذ المسلمين وتخليصهم من مخاطر العادات والتقاليد غير الإسلامية والتى تصبح بمرور الوقت عرفاً سائداً بين المسلمين بسبب علاقاتهم الاجتماعية المختلفة مع الطوائف الأخرى ولم يكن يريد أن يصبح المسلمون جزءاً من البيئة العامة لشبه القارة الهندية فحسب، بل يريد أن يقيم العلاقات والروابط القوية مع بقية العالم الإسلامى.

ويعتبر شاه ولى الله أول مفكر إسلامى أعطى أهمية أساسية للناحية الاقتصادية ودرس تقدم الأمم وتأخرها من هذه الوجهة، ويرى أن أى مجتمع لا يستطيع أن يطبق

---

(١) شاه ولى الله الدهلوى: حجة الله البالغة جـ١، طبعة بولاق، ص ٤٤، ٤٥.

(٢) المرجع السابق ص ٤٣.

(٣) معين الدين عقيل: تحريك ازادى مين اردو كاحصه، ص ٤٧، ٤٨ - جمال الدين الشيال: الحركات الإصلاحية، جـ١ ص ٣٤.

ايضاً: Kalek Ahmed, Shahwaliullah and Indian Politics. P. 145 - 133.

(٤) عبيد الله سندهى: شاه ولى الله كى سياسى تحريك. ص ٦٣.

العدل مادامت الجماعات المنتجة فيه تعتمد على الآخرين(١)، ويعتبر الفساد الأخلاقى نتيجة حتمية للتدهور الاقتصادى ويقول فى «حجة الله البالغة»: إن أى قوم يستمرون فى طريق المدنية والحضارة فإن صناعتهم وحرفتهم تصل إلى أعلى درجة من الكمال، ولكن إذا ركنت الطبقة الحاكمة إلى حياة الدعة والراحة فإن العبء سيزداد على الطبقات العاملة ويعيش أكثر أعضاء المجتمع مثل الحيوانات وتتدهور الأخلاق الاجتماعية عندئذ، وإذا واجهوا أى ضائقة اقتصادية فإنهم يعجزون عن حلها(٢).

وشعر شاه ولى الله بضعف الإمبراطورية المغولية والنظام الإقطاعى القديم ولذلك بدأ يتكون عنده البصيرة السياسية وكان يعلم أن النظام الإقطاعى ليست له القدرة على إصلاح الأوضاع الاقتصادية المتدهورة فى عصره ولم يكن هناك فى ذلك الوقت أية طبقة متعلمة يمكن أن تحل محل طبقة الإقطاعيين التى كانت فى نظره من أسباب ضعف الإمبراطورية المغولية ونادى بأن يحل محلهم صغار الإقطاعيين لانهم كانوا يمثلون قوة ضغط خاصة على سلطة الحكومة المركزية تريد أن تقلص دور الملك وتسلب منه بعض صلاحياته، وشعر شاه ولى الله بأن النظام الإقطاعى ليس جديراً بالإمساك بزمام الحكم، لذا وضع عينيه على طبقة الصنّاع والتجار الذين كانوا بائسين فى ذلك العصر حتى إذا تهيأت لهم الأوضاع المناسبة انقضوا على طبقة الإقطاعيين وأمسكوا بزمام الأمور(٣).

وقد سلك شاه ولى الله طريق الاعتدال والوضوح فى كتاباته وحاول إثبات التوافق بين التعاليم الإسلامية والحياة الإنسانية وترجم القرآن للفارسية حتى تصل معانيه إلى أفهام الناس بسهولة، وعلى الرغم من أن حركة شاه ولى الله لم تنتشر وتزدهر فى حياته إلا أن أعظم إنجازاته هى بحث الأوضاع الاقتصادية والسياسية فى عصره ومحاولة إقامة حكومة إسلامية فدعا أحمد شاه الإبدالى لغزو الهند لتحقيق هذا الهدف فقام أحمد شاه بالقضاء على الحركات الوطنية طبقاً لمقترحات شاه ولى الله، ولكنه لم ينجح فى تغيير العقلية الإقطاعية فضعف الاقتصاد وتدهورت شئون الدولة خاصة بعد رحيل أحمد شاه، وظهرت العيوب فى نظام الدولة فتمكن الإنجليز من إقامة حكمهم على هذه العيوب، ولم يكن يفكر فى خطر السيخ والمرهتها والزط على قيام الحكومة الإسلامية

---

(١) عبيد الله سندهى: شاه ولى الله كے سياسى تحريک ص ٦٠.

(٢) خليق أحمد نظامى: شاه ولى الله كے سياسى مكتوبات، ص ١٠.

(٣) معين أحسن جذبى: حالى كاسياسى شعور، ص ٣٧.

فحسب، بل كان يعتبر قوة الإنجليز المتزايدة هى الخطر الاول[١]، وبعد وفاة شاه ولى الله خلفه ابنه شاه عبد العزيز (١٧٤٦ - ١٨٢٤م) على مدرسته وفكره فتطورت حركة شاه ولى الله فى عصره، وقد تدهورت الحياة الاقتصادية والسياسية وسيطرت شركة الهند الشرقية على مناطق واسعة من الهند وأصبح المسلمون محكومين وضاعت من الطبقة العليا الوظائف والمناصب والمكيات وضيق الإنجليز على العلماء سبل الرزق، وساءت أحوال الفلاحين بفرض ضرائب جديدة وحاول أولاد شاه ولى الله الآخرين: شاه رفيع الدين وشاه عبد القادر وشاه عبد الغنى، بالإضافة إلى شاه عبد العزيز إقامة حكومة إسلامية التى كانت الهدف الرئيسى لشاه ولى الله، ولكن الإنجليز أعلنوا رفضهم لهذه الفكرة كما رفضها الإقطاعيين، لذلك قام تلاميذ شاه ولى الله بالانتشار فى القرى والمدن يدعون إلى ترك البدع واتباع السنة وكانوا يهدفون إلى يقظة المسلمين وتوحيدهم وقام أولاد شاه ولى الله بتأليف الكتب الدينية وبتفسير كتبه وترجم شاه عبد القادر وشاه رفيع القرآن الكريم إلى اللغة الأردية.

وقد انعكس السخط بين المسلمين فى الميدان الدينى على الجدل الذى ثار بشأن وضع الهند تحت الحكم البريطانى، أتعتبر الهند عندئذ دار إسلام أم دار حرب ولم يكن هذا الجدل جديداً فعندما اكتسحت دولة المرهتها مناطق شاسعة من الهند الإسلامية فى القرن الثامن عشر ثارت المسألة نفسها، ولكن العلماء فى ذلك الوقت رأوا أن الهند لم تفقد وضعها باعتبارها دارإسلام، ولكن الاحتلال الإنجليزى للهند على عكس الحكم المرهتى الذى لم يدخل تغييرات يعتد بها فى النظام الاجتماعى للهند[٢]، ولذلك وصلت الدعوة الإسلامية إلى ذروة نجاحها عندما أصدر شاه عبد العزيز فتواه الشهيرة[٣] عام ١٨٠٣م بأن جميع المنطقة الواقعة تحت الحكم الإنجليزى الممتدة من دهلى حتى كلكتا هى دار الحرب وليس دار الإسلام، ومعنى ذلك أن الإسلام لم يعد السلطة الفوقية فى الهند أو على الاقل ليست هناك حرية عبادة على الرغم من أن الإنجليز لا يتدخلون فى الشعائر الخاصة بالمسلمين والمسلمون الآن يعيشون فى دار حرب يعنى أنهم حرموا من السلطة أو السيادة ولم تسمح لهم الحكومة الإنجليزية بممارسة الشعائر الدينية بحرية كاملة من أجل ذلك فالجهاد ضدها فرض على كل مسلم، ولكن لان الإمبراطور المغولى

---

(١) معين احسن جذبى: المرجع السابق، ص ٣٩.

(٢) رودلف بيترز: الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث، ص ٦٣.

(٣) شاه عبد العزيز: فتاوى عزيزية (مطبعة مجتبائى دهلى) جلداول، ص ١٦، ١٧.

فى وضع ضعيف، وقد أصبح موظفاً حقيراً لدى الإنجليز ولم يكن للمسلمين أى حركة منظمة تجمع جهودهم فلم تخرج الفتوى بأى رد فعل فورى لكنها ولدت حركة ثورية كان هدفها إقامة الحكومة الإسلامية(١) وطرد الإنجليز وهم: «حركة المجاهدين» بقيادة السيد أحمد الشهيد الذى حمل لواء الجهاد والدعوة الإسلامية بعد وفاة شاه عبد العزيز سنة ١٨٢٤م بعد أن أرسى دعائم الدعوة الإسلامية وازدهرت حركة شاه ولى الله على يديه.

ب - حركة المجاهدين وفكرة الجهاد

فى المراحل الأولى من التوغل الأوربى فى العالم الإسلامى قاوم المسلمون فى مواقع كثيرة الوضع الجديد بالقوة ورجعوا إلى عقيدة الجهاد فى سبيل تعبئة الجماهير وحشدها وتبريراً وتسويفاً للنضال وتحديد العدو تحديداً دقيقاً ولما كان الحكام الاستعماريون غير مسلمين فقد كانت عقيدة الجهاد ملائمة تماماً لتحقيق هذه الأهداف(٢).

وكانت عقيدة الجهاد إلهاماً لكثير من الحركات التى خاضت النضال المسلح ضد السيطرة الاستعمارية الغربية على معظم أراضى العالم الإسلامى وبصفة خاصة فى شبه القارة الهندية، حيث كان لهذه العقيدة أهمية كبرى فى مقاومة الإنجليز فى الهند(٣)، بعد أن استقروا فى البنغال وتوغلوا منها إلى جميع أنحاء الهند فقامت حركات إسلامية فى البنجاب والبنغال على السواء تدعو إلى إصلاح الأوضاع الاجتماعية وطرد الإنجليز وإقامة الحكومة الإسلامية وقد اتخذت هذه الحركات وعلى رأسها - حركة المجاهدين - شكلاً منظماً بزعامة السيد أحمد البريلوى(٤).

---

(١) معين الدين عقيل: تحريك آزادى مين اردو كاحصه، ص ٥١.

(٢) محمد صالح جعفر الظالمى: من الفقه الإسلامى، بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٧١م، ص ٤٤.

(٣) رودلف بيترز: الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث، ص ٩.

(٤) ولد السيد أحمد البريلوى سنة ١٢٠١ هـ/١٧٨٦م فى راى بريلى وحفظ القرآن بها وبايع شاه عبد العزيز وهو فى الثانية والعشرين وانضم إلى جنود نواب أمير خان والى تونك سنة ١٨١٠م وقضى عنده ست سنوات أكمل فيها تدريباته العسكرية واتقن فن الجندية، وفى سنة ١٨١٦م رحل إلى دهلى وبدأ فى سلسلة ارشاده ووعظه، وقد تأثر فى ذلك بشاه عبد العزيز وحركة شاه ولى الله وقام بتنفيذ أفكاره ونظرياته عملياً وحاول إقامة نظام سياسى مبنى على العدل الاقتصادى ومطابقاً للشريعة الإسلامية، إلا أن أوضاع الهند فى عهده تغيرت كثيراً عنها فى عهد شاه ولى الله ولم تعد الحركة الإصلاحية كافية لنظام الحكم القائم والذى يسيطر عليه الإنجليز وأعوانهم من السيخ والهندوس، بل ينبغى أن يقوم المسلمون بحركة ثورية لطرد الإنجليز وإقامة الحكومة الإسلامية واشتهر بالسيد أحمد الشهيد. (محمد إكرام: =

وكان السيخ قد أقاموا لهم حكومة قوية فى البنجاب ووقف المسلمين عاجزين أمامهم فقام السيد أحمد الشهيد وأعلن الجهاد ضد السيخ وبايعه شاه إسماعيل ابن اخت شاه عبد العزيز ومولانا عبد الحى صهر شاه عبد العزيز وأصبحا من أخلص أعوانه وقاموا بتكوين حركة المجاهدين سنة ١٨٢٠م، وقام السيد أحمد الشهيد ورفيقاه بالطواف بشرق الهند وجنوبها يدعون المسلمين إلى نبذ العادات والتقاليد غير الإسلامية والتمسك بالشريعة الإسلامية وأشعلوا حماس المسلمين من البنغال حتى دهلى(١).

وكانت حركة المجاهدين تهدف إلى طرد الإنجليز فى المقام الأول، يقول السيد أحمد الشهيد إن حربنا ليست ضد الأمراء والحكام المسلمين بل ضد الكفار ومثيرى الفتن فمنذ عدة سنوات والهندوس والمسيحيين ينشرون المفاسد والمظالم بعد أن سيطروا على أكثر مناطق الهند وبدأت تسود عادات الكفر والشرك وماتت شعائر الإسلام فعندما رأيت هذا الوضع صدمت صدمة كبيرة وانتابنى شوق إلى الهجرة، ونشأ فى قلبى غيرة الإيمان وفى رأسى حماس الجهاد(٢).

فى سنة ١٨٢١م سافر السيد أحمد ورفيقاه مولوى عبد الحى وشاه إسماعيل ونفر من أنصار حركة المجاهدين إلى مكة ووقفوا فى كل مدينة وقرية يدعون الناس إلى التمسك بتعاليم الإسلام حتى وصلوا إلى مكة وبايعه بعض العلماء المصريين والبلغار وترجم مولوى عبد الحى كتاب السيد أحمد الشهيد الذى يحتوى على أهداف حركته إلى اللغة العربية، وهناك التقى بعلماء من جميع البلا الإسلامية وخاصة الإمام القاضى(*) محمد الشوكانى ثم عاد الشهيد إلى الهند فى ٢٩ من أبريل ١٨٢٤م(٣)، بعد أن اطلع على حركة محمد بن عبد الوهاب فى نجد لإحياء الدين وتطهيره من البدع والخرافات ولم يبق أى مصلح هندى بمعزل عن هذه الأفكار الوهابية، لكن أفكار السيد أحمد كانت تختلف عن الأفكار الوهابية على الرغم من اشتراكهما فى بعض الأفكار الإصلاحية(٤).

= موج كوثر، ص ١٥، ١٦، هنتر: ہمارے هندستانى مسلمان: ترجمة صادق حسين، بدون تاريخ لاهور ص ١١٨).

(١) معين الدين عقيل: تحريک آزادى مين اردو كاحصه، ص ٨٣٦.

(٢) سيد ابو الحسن الندوى: سيرة سيد أحمد شهيد، ص ١١٠.

(*) تاثر بالمذهب الوهابى كل من الإمام الشوكانى (١١٧٢ - ١٢٥٠ هـ) فى اليمن ومحمد بن على السنوسى فى ليبيا ونستطيع ان نلمس أثر الوهابية عند الإمام محمد عبده.

(٣) محمد إكرام: موج كوثر ص ٢٢، ٢٣.

(٤) عبد القيوم: حالى كى اردو نثر نگارى، ص ٩٢٨.

وبدأ السيد أحمد الشهيد العدة للجهاد فى سبيل الله بعد أن اجتذب أعداداً كبيرة من الأتباع من الفلاحين والحرفيين المقهورين فى البنغال وشمال الهند والذين كانوا يعانون من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية نتيجة لدخول الحكم الأجنبى وكان الهدف الاستراتيجى الذى يسعى إليه السيد أحمد هو تحرير البلاد من سيطرة الإنجليز وكانت أهم الوسائل التكتيكية فى نظره هى احتلال بعض الأقاليم التى تبعد عن متناول الإنجليز ليؤسس فيها حكومة إسلامية حتى يستطيع أن يخوض القتال التحرير الهند، وقد بدأ أولاً بمحاربة السيخ بعد أن اتخذ من منطقة الحدود الشمالية الغربية على مقربة من الحدود الأفغانية قاعدة له ولأتباعه ولم يجد أى عوائق من جانب الإنجليز فى أداء مهمته لأنهم كانوا يريدون إضعاف القوتين ليسهل على الإنجليز السيطرة عليهما(١)، وقد أحرز المجاهدون عدة انتصارات فى بداية جهادهم ضد السيخ ولكن سرعان ما ظهرت العوائق أمامهم بعد أن نجح السيخ فى صرف حاكم بشاور يار محمد عن مساعدة المجاهدين فحاول وضع السم للسيد أحمد فى طعامه ولكن الله أنقذه من الموت وفى ميدان الحرب قام بتفريق شمل المجاهدين وقامت سلسلة من الحروب بين السيخ وزعماء القبائل وبين حركة المجاهدين ومات مولوى عبد الحى فى هذه الظروف الصعبة، ولكن المجاهدين واصلوا جهادهم حتى انتصروا على السيخ.

وحلفائهم وأقاموا حكومة لهم فى بشاور عام ١٨٣٠، وعين السيد أحمد الشهيد مولوى سيد مظهر على قاضيا على المدينة وبدأ يفصل فى القضايا طبقاً للشريعة الإسلامية وفرض الضرائب وحارب البدع ولكن زعماء القبائل ضاقوا ذرعاً بهذه الضرائب فقرروا قتل المجاهدين مرة واحدة فى الليل وهجموا عليهم وهم يصلون الفجر وذبحوهم(٢) جيمعاً فتأثر بذلك السيد أحمد الشهيد وقرر الرحيل إلى كاغان والتقى فى بالاكوت مع جيش السيخ بقيادة شيرسيج فى مايو ١٨٣١م، الذى حاصر المجاهدين من الجوانب الأربعة بسبب خيانة بعض الجنود وغدرهم حتى أصبحوا فى دائرة وهزموا المجاهدين واستشهد ستمائة منهم وعلى رأسهم شاه إسماعيل الشهيد ومولوى خير الدين وبهرام خان والسيد أحمد الشهيد الذى ظن البعض أنه المهدى المنتظر وأنه قد اختفى إلى حين وعلى المسلمين أن يوحدوا صفوفهم ويقاتلوا الكفار والإنجليز، فسوف

---

(١) معين الدين عقيل: تحريك آزادى مين اردو كاحصه، ص ٥١ – معين احسن جذبى: حالى كاسياسى شعور ص ٤٣.

(٢) سيد ابو الحسن الندوى: المرجع السابق ص ١٥، محمد إكرام: موج كوثر ص ٢٧ : ٣١.

يعود ليقودهم إلى النصر المبين(١).

وقد ترك السيد أحمد الشهيد كتاباً واحداً هو «الصراط المستقيم» وقام رفيقاه شاه إسماعيل ومولوى عبد الحى بترتيبه وندرك منه مدى تفهم السيد أحمد الكامل للمسائل الدينية المختلفة وأنه حاول طرد الإنجليز والقضاء على السيخ ونشر التعاليم الإسلامية الصحيحة ولم يعارض التصوف مثل الوهابيين ولكن كانت لديه الرغبة فى إصلاحه، وبعد وفاته قام خلفاؤه وعلى رأسهم مولانا ولايت على وعنايت على بمساعدة بعض مريدى السيد أحمد الآخرين بجمع شتات المجاهدين وتنظيم حركتهم واتخذوا مدينته مركزاً لهم ولاقوا نجاحاً كبيراً فى المناطق الريفية فى بهار والبنغال وقامت جماعة صادق پور – التى أطلق عليها الإنجليز اسم الوهابيين ليصدوا المسلمين عنها – بمساعدات قيمة للمجاهدين فى معسكر تهانة وكان هدفهم إقامة نظام موحد من البنغال حتى إقليم سرحد(٢).

واستمر المجاهدون فى الحروب والمنازعات مع الإنجليز من سنة ١٨٥٢ حتى ١٨٥٧، وكانت الإمدادات تأتى سراً لهم من جميع أنحاء الهند وخاصة بهار والبنغال ليواصلوا الحرب وبعد ثورة ١٨٥٧م التى أبلو فيها بلاءً حسناً ظل المجاهدون يحاربون حتى سنة ١٨٦٨م(٣).

ويقول هنتر: «لقد ظل مسلمو الهند لسنوات يهددون بالخطر الحكومة الإنجليزية فى الهند ولا يستطيع أحد أن ينكر أن هذه الفئة المتمردة (المجاهدين) التى نالت الحماية والعون من الأكثرية الإسلامية فى غرب الهند إلى أى مدى يمكن أن تنجح تحت قيادة هذا القائد (أى السيد أحمد الشهيد)»(٤).

وقد أثرت حركة المجاهدين على الحياة فى شبه القارة الهندية تأثيراً واضح المعالم وولدت عند المسلمين الإرادة والعزيمة وسط هذا الجو العدائى من جانب الهندوس والسيخ وإنجلترا وكانت حركة المجاهدين أول حركة شعبية خلقت عند المسلمين الإحساس السياسى ولم يكن هدفها إعادة عرش أو أسرة إلى الحكم، بل كان هدفها تحرير

---

(١) هنتر: همارے ہندستانی مسلمان: ترجمة صادق حسين ص ٥٠.

(٢) معين احسن جذبى: حالى كاسياسى شعور: ص ٤٥.

(٣) هنتر: المرجع السابق: ص ٢٠، ٤٢.

(٤) هنتر: المرجع السابق: ص ٤٥ وعبد القيوم: حالى ارد ونثر نگارى ص ٥٩.

المسلمين من الظلم والعبودية وقد رسموا بدمائهم الذكية معالم طريق المسلمين فى الهند.

جـ - الحركات الإسلامية فى البنغال:

بعد المحاولات الشجاعة من السلطان تيبو للقضاء على السيطرة الإنجليزية فى البنغال والتى وضعها الإنجليز فى حسابهم لأهميتها حتى قضت عليه نتيجة للخداع والخيانة من جانب قواده وقامت بريطانيا بتثبيت أقدامها فى الهند بكل الصور الممكنة فادى ذلك إلى تفجر الحركات الإسلامية التى اشترك فيها المسلمون والمصلحون والمفكرون وقد اعتنقوا فكرة الجهاد ووجهوا انتباههم إلى إصلاح الفرد من أجل إحياء العقائد الإسلامية وكان الجهاد أحد العوامل المؤثرة فى معارضة السيطرة الإنجليزية، وقد استمر السيد أحمد الشهيد فى رفع راية الجهاد ضد السيخ والإنجليز فى البنجاب حتى استشهد فى معركة بالاكوت عام ١٨٣١ بفعل العناصر الخيانية فى صفوف حركته والتى كانت سبباً فى القضاء على السلطان تيبومن قبل فى البنغال.

وكان أهم عمل مثمر للسيد أحمد وخلفائه من بعده أنهم قاموا بمد نشاط حركتهم ألى البنغال فى الشرق وأقاموا علاقات قوية بينهم وبين المراكز والحركات الإسلامية الأخرى فى الهند من أجل إحياء فروض الدين وإقامة شعائره الصحيحة بعد أن كان البنغال بمعزل عن الحركات الإسلامية فى شمال الهند وبدت التأثيرات الهندوسية ظاهرة بوضوح فى حياة المسلمين هناك بسبب صعوبة الانتقال بين البنغال والبنجاب وتأثير الإقطاعيين الهندوس على حياتهم الاقتصادية، وكان القرن التاسع عشر نذيراً بعودة الحياة الإسلامية للبنغال ونهاية العزلة الدينية للمسلمين بسبب ظهور الحركات الإصلاحية والإحيائية التى قام بها أنصار السيد أحمد الشهيد ومريدوه فى البنغال، وكانت أولى حركات المجاهدين فى البنغال الحركة الفرائضية(١).

١ - الحركة الفرائضية:

هى أولى الحركات الإسلامية الإحيائية فى البنغال وقام بها حاجى شريعت الله ١١٩٥هـ/ ١٧٨١م ٠ ١٢٥٧ هـ/ ١٨٤٠، وقد سنحت له الفرصة كاملة للإطلاع بنفسه على الحركة الإصلاحية فى نجد عندما ذهب للحج ١٢١٩ هـ/ ١٨٠٢ حتى أنه أخذ على

---

(١) محمد إكرام: موج كوثر: ص ٥٧.

- غلام رسول مهر: اٹھارہ سو ستاون کے مجاهد: ص ٦٣، ٦٤.

عاتقه مسئولية الدعوة إلى إحياء الإسلام والإصلاح الدينى عندما رجع من الحجاز فقام بوعظ المسلمين وإرشادهم، وأكد على أهمية أداء الفرائض الإسلامية ولهذا سميت بالفرائضية أى المهتمة بأداء الفرائض وسمى أتباعها باسم « توبار(*) »(١)، وقد نبذ الفرائضيون التقاليد والبدع والاحتفالات التى ليس لها أى سند فى القرآن والسنة وانتشرت هذه الحركة بسرعة فى مناطق كبيرة فى البنغال ويرجع لهذه الحركة الفضل فى خلق الشعور لدى المسلمين بتفوقهم وسموهم على الهندوس(٢)، ومات حاجى شريعت الله عام ١٢٣٦ هـ / ١٨١٦ بعد أن أرسى قواعد هذه الحركة وجاء بعده حاجى محمد ١٢٥٧ هـ/ ١٨٤٠م. فقام بتنظيم الحركة وجعلها أكثر وعياً وأصبح لها فاعلية سياسية واجتماعية كبيرة وأسس المراكز الدينية فى شرق البنغال وكان يعين خلفاءه ورفض دفع الضرائب التى كان الإقطاعيون الهندوس يفرضونها على المزارعين المسلمين وتوفى حاجى محمد ١٢٢٨ هـ/ ١٨٦١م بعد أن وسع من نطاق حركته الإحيائية فى البنغال ونواحيها، ولكنه واجه أثناء قيادته لهذه الحركة عقبات كثيرة وتفاقمت الخلافات بين الجماعة الفرائضية وعامة المسلمين عندما أفتت الحركة بأن الهند أصبحت دار حرب ولهذا لا يجوز صلاة الجمعة والعيدين فيها، ومن هنا نشأ الخلاف الذى اتخذ شكل الاضطرابات والقلاقل فى معظم مراحله وأدى ذلك إلى تركهم للصلاة فى المساجد(٣).

وكانت هذه الحركة فى الأصل حركة دينية بحتة شأنها فى ذلك شأن « الطريقة المحمدية »، تسعى إلى أهداف روحية مثل الدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع غير الإسلامية، ولكنها سرعان ما اكتسبت بعداً اجتماعياً محدداً وواضحاً تحت قيادة محمد محسن المعروف باسم « دود وميان » وهو ابن حاجى شريعت الله وذلك أنها أخذت تنظم الفلاحين والحرفيين المسلمين فى نضالهم ضد الإقطاعيين وأصحاب مزارع النيلة من الإنجليز(٤).

وبعثت الحركة الفرائضية الحياة فى الناحية الدينية فى فريد يور ودكاو بارسال، ولكن

---

(١) محمد إكرام: موج كوثر، ص ٥٧، ٥٨.

(*) توبار بمعنى تابع أو مريد.

(٢) معين الدين عقيل: تحريك آزادى ميں ارد وكاحصه: ص ٤٥، ٤٦.

(٣) محمد إكرام: موج كوثر ص ٥٨.

(٤) رودلف بيترز: الإسلام والاستعمار: عقيده الجهاد فى التاريخ الحديث ص ٦٧.

يؤخذ عليها أنها كانت ذات طابع محلى وهو ما تلافاه السيد أحمد الشهيد فى حركته.

٢ - حركة تيتومير:

كانت هذه الحركة معاصرة للحركة الفرائضية وأسسها تيتومير المتوفى ١٨٣١م وكانت هذه الحركة على علاقة بحركة المجاهدين فى شمال الهند فقد كان تيتومير يخوض نضالاً نشطاً فى البنغال الغربية فى نفس الفترة التى كان السيد أحمد يخوض قتاله ضد السيخ وكان هدف هذه الحركة فى البداية نشر روح الجهاد بين المسلمين ضد الإنجليز وأعوانهم من الهندوس إلى جانب الإصلاح الدينى، ثم أخذت صبغة سياسية شعبية وقد جمع تيتومير حوله عدداً كبيراً من الأشياع من الفلاحين والصناع وخاض نضالاً ضد أصحاب مزارع الفيلة الإنجليز والإقطاعيين الهندوس(١)، ونالت حركته الشهرة فى أوساط عامة المسلمين وقد خلفت فيهم الاعتماد على أنفسهم مما هيأ لهم بعد ذلك الحصول على حقوقهم المختلفة بالجهاد ضد الإنجليز الهندوس، وقد أعلنت حركة تيتومير رغبتها فى القضاء على الحكم الإنجليزى وإعادة الحكم الإسلامى للهند مرة أخرى، وقد أدى هذا الإعلان من جانب الحركة إلى انتشار الحركات الثورية المختلفة ضد الإنجليز فى مختلف أنحاء الهند وكانت نهاية الحركة على يد الإنجليز لأنهم لم يستطيعوا مواجهة جيش منظم ومسلح بأسلحة حديثة فى حين كانوا يفتقدون إلى التخطيط المنظم والقيادة العسكرية الواعية فضلاً عن أسلحتهم البسيطة(٢)، وهناك مريد آخر للسيد أحمد الشهيد جدير بالاهتمام وهو مولانا كرامت على جونپورى المولود سنة ١٨٠٠م، وكان السيد أحمد قد التقى به أثناء تجواله فى أطراف الهند للدعوة والإرشاد وأوكل إليه مهمة الدعوة والإصلاح فى البنغال، وقد قضى فى هذه المهمة نحو أربعين عاماً وأحدث تغيرات هامة فى عادات الناس وظل بمعزل عن حركة المجاهدين ولكنه أفتى فتوى اعترض فيها على اعتبار الهند دار حرب مما أدى إلى ارتياح الإنجليز(٣).

وواصل المجاهدون حربهم للإنجليز فى كل مكان وأحيوا عقيدة الجهاد فى نفوس المسلمين وبثوا روح الحرية فى الجيش المفكك فاشتعلت نيران ثورة ١٨٥٧م التى أراق المجاهدون فيها دماءهم فى سبيل الحرية والشهادة وبعد فشلها صب الإنجليز جام غضبهم

---

(١) قيام الدين أحمد: هندوستان مين وهابى تحريک كلكته، ١٩٦٦، ص ٣٥٨ - ٣٦٣.
- اودلف بيترز: الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث ص ٦٧.

(٢) معين الدين عقيل: تحريک آزادى ميں اردو كاحصه، ص ٤٦، ٤٧.

(٣) محمد إكرام: موج كوثر ص ٦٠.

عليهم لأنهم كانوا فى طليعة فصائل الثورة وجردوهم من أبسط حقوقهم الإنسانية ومات مرشدهم مولوى عنايت على غازى سنة ١٨٥٨م، ولكنهم واصلوا معارضتهم للإنجليز وعلى رأسهم مولوى يحى على ومولانا أحمد الله عظيم آبادى ومولانا صفرتها نيسرى فى البنغال حتى اعتقلهم الإنجليز عام ١٨٦٤م وحكمت عليهم بالسجن المطلق واستمرت سلسلة الاعتقالات للمجاهدين حتى عام ١٨٧٢م، وبذلك طويت آخر صفحة فى حياة المجاهدين تلك الحركة الثورية الإسلامية التى عارضت الحكم الأجنبى للهند بعد أن ظلت مصدر قلق الإنجليز ودخلت الهند تحت السيطرة المباشرة للإنجليز وتاج ملكتهم فيكتوريا عام ١٨٥٨م.

وبعد فشل حركة المجاهدين من الناحية العسكرية بدأوا يفكرون فى صعوبة مواجهة الإنجليز بعدم تكافؤ قوتيهما، لذا فكر المجاهدون فى الجهاد الأكبر وهو إصلاح نفوس المسلمين عن طريق نشر المفاهيم الدينية الصحيحة عن طريق الدعوة السلمية فى جميع أنحاء الهند وأنشأوا لهذا الفرض شبكة من المدارس والكتاتيب لتدريس العلوم الدينية والتقليدية ليحافظوا على كيانهم وامتد تأثيرهم على جميع الحركات الإصلاحية التى قامت بعد فشل الثورة مثل مدرسة ديوبند التى أسسها محمد قاسم نانو توى والتى كانت تدرس أفكار شاه ولى الله الثورية الإصلاحية.

وقد تأثر السير سيد أحمد خان بهذه الحركة، كما ذكر فى كتابه «آثار الصناديد» كما اشترك فى دروس السيد أحمد الشهيد الوعظية فى المسجد الجامع، ويؤكد حالى أن السير سيد قد تأثر فى المرحلة الأولى من حياته بأفكار مولانا إسماعيل الشهيد وخاصة فيما يتعلق بالتحرر من التقاليد(١).

وقد يصدق رأى حالى هذا على طريقه تفكير السير سيد فى أول حياته، ولكن بعد ذلك حدثت تغيرات هائلة فى أفكار السير سيد حتى أنه اتخذ خطا معاكساً تماماً لحركة المجاهدين وأفكارهم، وذلك عندما بدأ فى التعاون مع الإنجليز والتقرب إليهم بدعوى إيجاد التفاهم والمصالحة.

وفى الصفحات القادمة سأتحدث عن أوضاع المجتمع الهندى بعد الثورة وانعكاس فشلها على المسلمين بصفة خاصة قبل أن أتناول حركة على گرهـ ومحاولة التفاهم والتصالح مع الإنجليز.

---

(١) حالى: حيات جاويد: ص ٧٧.

الصراع الأوربى للسيطرة على الهند

كانت البندقية وفرنسا تحتكران التجارة بين الشرق الإسلامى ودول أوربا فكانت للأولى تجارة البر فى بلاد الشام والثانية احتكار تجارة البحر عن طريق نقل هذه التجارة من موانىء مصر وبلاد الشام إلى أوربا وكانت هذه العلاقات نفسها سبباً من أسباب حركة الكشف الجغرافية إذ كانت المنافسة بين فرنسا وأسبانيا فى هذا العصر على أشدها وضاقت البرتغال ذرعاً باحتكار تجار البندقية لتجارة البحر المتوسط فتلمست سبيلاً آخر للاستيلاء على هذه التجارة والوصول إلى منابعها فى الهند(١).

وقد تزعمت البرتغال الدفاع عن المسيحية فى أوربا وتجددت فيها الروح الصليبية وازدادت قوة ووصل فاسكو داجاما كلكتا فى ٢٧ مايو ١٤٩٨م(٢) ويعتبر وصوله لكلكتا نقطة تحول فى تاريخ الهند وأوربا، وقد دفع البرتغاليين إلى المجىء للهند الرغبة فى القضاء على الإسلام الذى هدد أوربا كثيراً، وكذلك الحرص على احتكار تجارة التوابل لكن بعد قيام الثورة الصناعية فى بريطانيا أصبح الدافع القوى هو الرغبة فى إيجاد أسواق جديدة لتصريف المصنوعات الأوربية، وكان اهتمام الأوربيين بالهند فى بادىء الأمر مقصوراً على التجارة ولكن فى القرن التاسع عشر أصبح بسط النفوذ السياسى فى طليعة المطالب وصار الوسيلة المضمونة للاستغلال الاقتصادى(٣).

وقد تبدلت الزعامة الأوربية فى تلك الفترة فانتقلت من البرتغاليين إلى الهولنديين بعد انضمام البرتغال إلى أسبانيا سنة ٩٨٨ هـ/ ١٥٨٠م، فوصلوا إلى الهند سنة ١٠٠٤ هـ/ ١٥٩٦م وتكونت شركة الهند الهولندية فى مارس ١٠١٠ هـ/ ١٦٠٢م(٤)، لتشترى منتجات الهند والجزر الهندية الشرقية باثمان بخسة وتبيعها بأثمان مرتفعة فى أوربا(٥)،

---

(١) حسين مؤنس: الشرق الإسلامى فى العصر الحديث، مطبعة حجازى القاهرة، ط٢، ١٩٣٨ ص ٤٢.

(٢) H. G. KEENE. Sketch of The History of Hindustan. Deihi, idarah - 1972, P. 195.

(٣) على أدهم: الهند والغرب، دار المعارف، القاهرة، (ب. ت) ص ٣٠ - ٣١.

(٤) Dunbar: A History of India from earliest times to the present day. London, i st. 1936. P. 218.

(٥) وول ديورانت: الهند وجيرانها ص ٤٠٢.

H. H. Dodwell.k M. A, OP. Cit, P. 28 - 58.

فأسسوا شركة الهند الشرقية وكان هوكنز أول سفير لهم فى بلاط جهانكير المغولى ونال الإنجليز بالدسائس براءات منه وسمح لهم بالاتجار فى سورات وهو جلى وقد أقاموا المصانع بهما وقد اتسعت أملاك الشركة بالتدريج، ففى عام ١٦٦١م اشترت الشركة مدينة بومباى من البرتغاليين ودخلت مدراس عام ١٦٧٧م وجعلتها مقراً لها(١).

وقد بدأ التغلغل البريطانى فى الهند بمراكز تجارية أصبحت بعد قليل شركات قائمة ثم احتاجت الشركات إلى قوات تحمى متاجرها ومخازنها واتسعت الشركات حتى أصبحت مدناً بأسرها، ثم جاء الفرنسيون الهند عام ١٦٦٤م وكونوا شركة الهند الشرقية الفرنسية للتجارة فى الهند تحت رعاية كلوبير ومساعدة لويس الرابع عشر واستطاعوا فى خلال عشر أعوام أن يقيموا موانى لهم فى بوند شيرى»، و«ماهى»، و«چندرنكر» ومدراس(٢) وقد اغتنم دوبلكس فرصة وفاة نظام حيدر آباد الدكن فاجلس أحد أنصاره على عرشه ونصب أميراموالياً على حكومة أركوت وعظم بذلك نفوذ دوبليكس حتى كاد الإنجليز له وتذرعوا بحوك الدسائس له فى قصر فرساى فاستطاعوا أن يحملوا لويس الخامس عشر على استدعائه وترك جميع ما فتحه وعقد هدنة مع الإنجليز فى سنة ١٧٥٤م(٣) وبذلك خلا الجو للإنجليز فحصنوا مراكزهم فى كلكتا ومدراس وبومباى وتداخلوا فى النزاعات القائمة بين الأمراء المحليين وجاءوا بجنود لهم لخوض المعارك ورشت الشركة وارتشت للوصول إلى أهدافها فى الهند، واستطاعت أن توطد أقدامها فى عهد «كلايف» ١١٧٠ هـ/١٧٥٦م ورأى حاكم البنغال الأمير سراج الدولة أن يوقف تدخل الإنجليز فى شئون الدولة فهاجم حصن وليم واستولى عليه فقامت حملة من مدراس بقيادة روبرت كلايف فاستردت حصن وليم وعقدت صلحاً مع سراج الدولة، ولكن كلايف نقض المعاهدة واستطاع بمساعدة أحد الخونة فى جيش سراج الدولة - وهو مير جعفر - أن ينتصر عليه فى موقعة بلاسى الشهيرة ١١٧٠ هـ - ١٧٥٧م وأن يقتله ويقيم صنيعه مير جعفر حاكماً على البنغال وعندما خلفه مير قاسم أراد أن يؤكد نفوذه ويسترد البنغال من الإنجليز بمساعدة إمبراطور المغول الضعيف شاه عالم ولكنهم هزموا فى «بكسر» عام ١١٧٨ هـ/١٧٦٤م واضطر شاه عالم أن يتنازل للإنجليز عن حق

---

(١) Jaffar. The Mughal Empire, from Babar to Aurangzeb. Ist. 1936. Peshawar. P. 366, 367.

(٢) Dunbar. OP. Cit. P. 221.

(٣) جوستاف لوبون: المرجع السابق: ص ٢٤٣، ٢٤٤.

الإشراف المالى على البنغال واوريسا وبيهار فى معاهدة عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م وفى عام ١٧٦٧م خلف ورن هستنجز روبرت كلايف على حكم الشركة فأراد أن يثبت مركز الإنجليز فى الأراضى التى استولوا عليها ولكنه اصطدم بقوة المراهتها وسلطان ميسور القوى حيدر على الذى استطاع أن يرد الجيش الإنجليزى بقيادة إيركوت سنة ١١٧٩ هـ/ ١٧٦٥م ويعد جيش المرهتها ويتحالف مع الفرنسيين، ولكن الجيش الإنجليزى أجبر حيدر على على التراجع أمامه وترك السواحل عام ١١٩٥ هـ/ ١٧٨١م بعد تراجع حلفائه الفرنسيين(١) ومات حيدر على عام ١١٩٦ هـ/ ١٧٨٢م وخلفه ابنه السلطان تيبو الذى واصل الحرب ضد الإنجليز وفى عام ١٩٩ هـ/ ١٧٨٥م ترك هستنجز الشركة وخلفه كورانواليس الذى تحالف مع المرهتها ونظام حيدر آباد على محاربة السلطان تيبو واستطاع أن يدخل پنكلور والتمس تيبو الصلح على أن يتخلى عن قسم من بلاده وفى عام ١٧٩٨م تولى ولزلى حكم الشركة فقام بمحاصرة تيبو فى العاصمة «سرنگاپتم» وحاربه تيبو بشجاعة غير أن أحد قواده وهو «مير صادق» فتح القلعة للإنجليز وخرتيبو شهيداً فى أرض المعركة وبالقضاء على تيبو تخلص الانجليز من أقوى عدو لهم وأصبح من السهل السيطرة على الجنوب بعد أن قهروا المرهتها سنة ١٢٢٨ هـ/ ١٨١٣م وفى سنة ١٢٣٩ هـ/ ١٨٢٣ ثم استيلاء الإنجليز على آسام وعلى أركان فى بورما وقامت سلسلة من الحروب بين الإنجليز والسيخ من عام ١٨٤٥ إلى عام ١٨٤٩م، وانتهت بهزيمة السيخ وضم اللورد النبرو البنجاب إلى أملاك الشركة وفى عهد دلهوزى ضمت للشركة مملكتا حيدر آباد وأوده وبذلك سيطر الإنجليز على جميع أجزاء الهند وقام دلهوزى بإلغاء ألقاب الملوك والأمراء المغول ووجه إنذاراً إلى الملك المغولى بهادر شاه القابع فى قلعة دهلى بأنه سيكون آخر رجل فى الدولة المغولية يحمل لقب الملك وأن القلعة ستؤخذ منه وتحول إلى ثكنة عسكرية(٢)، وهكذا استطاعت الشركة فى مدة قرن أن تبسط سلطانها على الهند وتستعبد شعبها وتستنزف ثرواتها، وكان هذا فتحاً للبلاد صريحاً غاشماً كما قال وول ديورانت، وذلك الفتح الذى «دفع بثلاثين مليوناً من الأنفس البشرية إلى أقصى حدود الشقاء» كما قال اللورد ميكالى.

---

(١) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند، ص ٣٤٨ حتى ٣٥٢.

وعلى آدهم: الهند والغرب، ص ٦٣ حتى ٦٥.

(٢) على آدهم، الهند والغرب ص ٦٦، ٦٧.

- عبد المنعم النمر، المرجع السابق، ص ٣٥٥ وما بعدها.

الثورة الهندية: حرب التحرير عام ١٨٥٧

ساهمت عوامل عديدة فى ضعف الإمبراطورية المغولية فى الهند ثم زوالها، فقد كان اورنگزيب يريد أن يجعل حدود الهند الطبيعية حدوداً لدولته وكان فى الدكن مملكتان إسلاميتان هما غولكَندة وبيجاپور ومملكة هندية ثالثة هى مملكة المهرات وكانت الأخيرة تكاشح الإسلام بالعداوة حتى بلغ من جرأة أحد ملوكها «شيواجى» أن نهب قافلة للحجاج فى سورت فساق إليه أورنكَزيب جيشاً فخضع أولاً ثم خرج عليه ثانياً واعتصم بجبال «پوتا» وظل متمرداً يقاتل المغول حتى مات وفى سنة ١٦٨٥م زحف أورنكزيب بجيش جرار إلى الدكن واستولى على مملكتى غولكَندة وبيجابور وأخذ سماجى بن شيواجى أسيراً ثم قتله واستولى على آسام سنة ١٦٦٠م وعلى آراكان سنة ١٦٦٦ ولم تبلغ السلطنة الإسلامية المغولية من القوة والغلبة ما بلغته أيام اورنكزيب فكانت حدودها من كابل إلى آراكان ومن الهيمالايا إلى الكارنات فى أقصى جنوب الهند(١).

ولم تصبح الهند فى قبضة حاكم واحد إلا فى أيام اورنگزيب، وذلك لوقت قصير ولم تدم تلك الدولة المتماسكة زمناً طويلاً فكان موت اورنگزيب نذيراً بانهيار الدولة المغولية فلم يكد يتوفى حتى وقعت الهند فى الفوض فاخذ المرهتها والأفغان والسيخ والجات والراجپوتيون والأمراء المسلمون فى اقتطاع ممالك مستقلة لهم ولم يبق لخلفاء أورنكَزيب سوى سلطة اسمية(٢) فقامت دولة حيدر آباد الدكن عام ١٧٢٤م ودولة البنغال ١٧٠٧م ودولة أود هـ ١٧٢٤م ولم يبق للمغول سوى دهلى وأگرا والسند وبدأت تتضافر عوامل عدة للنيل من دولة المغول والتمهيد لسقوطها، وتمثلت هذه العوامل التى ساعدت على انهيار الدولة المغولية فى عوامل داخلية وهى خروج طوائف الهند على الحكومة المركزية وشق عصا الطاعة ضدها وكان من أخطر هذه الطوائف طائفة السيخ وهم من الجات البنجابيين(٣)، وزعيمهم مصلح دينى يدعى غورونانک ظهر فى القرن التاسع الهجرى وأواخر القرن الخامس عشر الميلادى (١٤٦٩م) وأقطعهم الملك أكبر

---

(١) لوثروب ستودارد: حاضر العالم الإسلامى جـ٣، ص ٣١٠، ٣١١.

(٢) جوستاف لوبون: حضارات الهند: ص ٢٢٤ - ٢٢٦.

(٣) أحمد محمود الساداتى: تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية وحضارتهم جـ٢، ص ١٧٧، ١٧٨.

قطعة أرض فى أمرتسار فصارت عاصمتهم الروحية وأصبحوا قوماً أولى بأس شديد فجاسوا فى ديار الهند وقام تاسع زعمائهم غور وتيغ بهادر بالخروج علي سلطة الدولة المغولة فقبض عليه اورنگزيب عام ١٠٨٦ هـ/ ١٦٧٥م وقتله، ولكنهم عادوا للفتنة مرة ثانية وتعاونوا مع الإنجليز للسيطرة على البنجاب وأذاقوا المسلمين خاصة التعذيب والقتل والتنكيل مما حدا بالسيد أحمد الشهيد زعيم حركة المجاهدين أن يقوم بقتالهم وقتال الإنجليز لسنوات طويلة حتى اتفقوا علي الفتك بجماعته واستشهد عام ١٨٣١م.

وكانت جموع المرهتها أيضاً من العوامل القوية فى ضعف الدولة المغولية فقد أسس «شيواجى» دولة لهم فى جبال كهات وسهول كونكن وألف عصابات نشرت الفوضى فى الدكن وهددت كيان الدولة فى دهلى(١).

وقد قضى اورنگزيب ستة وعشرين عاماً فى محاربتهم حتى شاركوا فيما بعد إلى جانب الراجپوت والروهيلا فى انهيار الدولة المغولية.

وكان الغزوان الفارسى والأفغانى من العوامل الخارجية التى عجلت بنهاية الدولة المغولة فقد بدأ نادر شاه هجومه على الأراضى الأفغانية التابعة للهند عام ١١٥٠ هـ/ ١٧٣٨م وكان محمد شاه قد أهملها منذ سنتين حتى تفشى فيها الفقر والضعف بين جنودها وسقطت فى أيدى الفرس بعد خمسة أسابيع، ثم تقدم نادر شاه بعد ذلك نحو البنجاب فسقطت بيشاور فى يده فى ستة أيام ثم أحاط بلاهور فى شوال سنة ١١٥١ هـ/ يناير ١٧٣٩م وقام بتخريب البنجاب(٢).

وبعد الهزيمة التى تلقتها قوات الهند أرسل محمد شاه نظام الملك ليهادن نادر شاه وفى أوائل ذى الحجة سنة ١١٥١ هـ/ مارس ١٧٣٩م دخل نادر شاه دهلى لكنه أباح المدينة لجنوده وأشاع القتل الجماعى فى الحادى عشر من مارس من نفس العام فاستشهد حوالى عشرين ألفاً وعندئذ أمرهم نادر شاه بالكف وعاد إلى بلاده فى ربيع الثانى ١١٥٣ هـ/ ١٧٣٩م بعد أن نهب كل ما يستطيع من كنوز وأموال(٣)، وترك الهند وقد خيم

---

(١) أحمد محمود الساداتى: المرجع السابق، ص ١٨٢، ١٨٥، ٢٢٢.

(٢) مقبول بيگ بدخشانى: تاريخ إيران، جـ٢، لاهور، ١٩٧١، ص ٣٧٦، ٣٧٧.

(٣) Dunbar: A History of india from the earliest times to the present day, first bublished, London. 1936. P. 300, 301.

الخراب والدمار على حنباتها.

ولم تكن الهند قد تخلصت من كارثة الغزو الفارسى حتى دق أبوابها غازى جديد جاء هذه المرة من ناحية الشرق، وهو أحمد شاه الإبدالى الذى زحف على الهند عام ١١٦١ هـ/١٧٤٨م وبعد وفاة محمد شاه استغل أحمد شاه الإبدالى هذه الفرصة وهجم على البنجاب واستولى عليها سنة ١١٦٢ هـ/١٧٤٩م وعاس فيها فساداً(١) وعاد أحمد شاه الإبدالى إلى بلده عام ١١٧٣ هـ/١٧٦١م بعد أن هزم المرهتها وعين شاه عالم ملكاً على الهند منذ أن بدأت شركة الهند تنفرد بحكم الهند أخذت تفرض على أهل الهند قوانينها الجائرة التى تهدف إلى إفقارهم وزلزلة نظامهم الاجتماعى والتهوين من شأن عقيدتهم وحاولت نشر المسيحية بكل السبل، ومن هنا وجد العلماء ورجال الدين المسلمون ما وصل إليه شأن دينهم فازدادت ثورتهم حدة على الإنجليز ووجدوا الدلائل القوية لشحذ النفوس بالثروة ضدهم وظهرت الحركات المختلفة من أجل إشعال نار الجهاد الوطنى وهب علماء المسلمين يدفعون خطر الإنجليز عن طريق الخطب الحماسية التى تدعو المسلمين إلى الوحدة والجهاد ضد الإنجليز امتداداً من شاه ولى الله الدهلوى وشاه عبد العزيز حتى السيد أحمد الشهيد.

ويذكر عشرت رحمانى أن أسباب ثورة التحرير(*) يرجع إلى ما قام به المجاهدون من نشر الوعى فى مختلف أنحاء الهند فبدأت تتولد نار الجهاد فى قلوب المسلمين على الرغم من ظلم الحكومة الإنجليزية(٢)، وقد بدأت المخاوف تزداد بسبب السيطرة الإنجليزية

---

(١) إعجاز الحق قدوسى: تاريخ سندھ. جـ٢، ص ٤٣٧ - ٤٣٩.

(*) لقد تعددت مسميات الثورة الهندية فإذا رجعنا إلى المصادر الغربية نرى أنها تنعتها باسم «Mutiny» أى التمرد Moreland, Ashort Histery of India، أو العصيان وثورة السباهى (العسكر) جوستاف لوبون وقد تابع الأوربيون بعض الكتاب المسلمين ومنهم السير سيد أحمد خان الذى أطلق على الثورة اسم: بغاوت أى التمرد أيضاً، أما المصادر الأردية الأخرى فإنها تتسمك باسم «جنگ آزادى» أى حرب التحرير كما يسميها عشرت رحمانى، ولكن كلمة بغاوت قد كثر استخدامها تقليداً للسير سيد، وعلق الدكتور عبد المنعم النمر فى كتابه «تاريخ الإسلام فى الهند على ذلك بقوله «لقد سمى الإنجليز أهل البلاد الذين يقفون ضدهم «بغاة» هكذا بلا حياء وسرت هذه الكلمة مع سريان حكمهم فى البلاد فاستعملها أهل الهند وسموا أنفسهم بغاة كما سماهم الإنجليز!! علماً بأن البغاوة هى الخروج على السلطان الشرعى بدون وجه حق، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله. سورة الحجرات آية: ٩.

(٢) عشرت رحمانى: ١٨٥٧ كے مسلمان مجاهد، ص ٨٢٧.

وبدأت جميع الطوائف تفكر فى أنهم سوف يفقدون عاداتهم وتقاليدهم وحريتهم الدينية وخاصة أن الحكومة الإنجليزية كانت تشجع حركة التبشير ونشر المسيحية بالقوة، كذلك سوء الاحوال الاقتصادية المتدهورة، حيث اضطهدت الحكومة الإقطاعيين وتسلط الإقطاعيون بدورهم على الفلاحين واستأثر الإنجليز بالمناصب العليا ولم يعد للهنود وظائف سوى بعض الوظائف الحقيرة إلى جانب العمل فى الجيش الإنجليزى وكانت تدر راتباً قليلاً جداً وراجت الرشوة وانتشرت البطالة وكان الحكام يعيشون بعيداً عن الرعية وواجهت الأسر العريقة ظروف الحياة الصعبة وأصيبت الطوائف المتوسطة والفقيرة بنكسة خطيرة فى نظامهم الاجتماعى وقام الإنجليز بالسيطرة على جميع الولايات والأقاليم الهندية وقاموا بعزل سلطان أوده وتنحية الأمراء المسلمين والراجاوات الهندوس من مناصبهم وأصبحت سلطة المغول فى دهلى اسمية وكان بهادر شاه ظفر (آخر ملوك المغول فى الهند) يسكن القلعة الحمراء وليس له أية سلطة فقد كان يتلقى راتبه من الإنجليز وكان يخضع فى كل أموره للأوامر الإنجليزية، وقد تبرم الأمراء والرؤساء وأصحاب النفوذ من السلطة الإنجليزية وأعلنوا عصيانهم، وكان الإنجليز يعتمدون على الجيش فقط وعلى الرغم من قلة عدد الجنود الإنجليز إلا أنهم كانوا يعتمدون على الجيوش المحلية المنتشرة فى جميع أنحاء الهند وكانت مصدراً لقوتهم وبدونها لا تستقر سلطتهم، لكن الضباط الإنجليز كانوا يوجهونها لصالحهم وكان سلوكهم شنيعاً مع الجنود، حتى قام الجنود المسلمون والهندوس بالشكوى من سوء معاملتهم من قبل هؤلاء الضباط الذين يتدخلون تدخلاً سافراً فى عاداتهم القومية والدينية لذلك عم السخط عليهم بسبب اضطهاد الإنجليز لهم وإجبارهم على استعمال دهون الخرطوش التى تعتبر محرمة فى أديانهم (فدهن البقر محرم على الهندوس تحريم دهن الخنزير على المسلمين) وبذلك ازدادت معارضة الهنود للإنجليز.

وقد زاد النفوس اشتعالاً ما أقدم عليه دلهوزى من اعتقال واجد على شاه ملك آوَدَه وضم بلاده للشركة عام ١٢٧٣ هـ/١٨٥٦م.

وقد بدأت الثورة فى معسكر «ميرت» يوم ١١ مايو ١٨٥٧م حينما صدرت الأوامر للجند باستعمال خراطيش الرصاص عن طريق قضمها بالفم فتذمر الجنود وعصوا الأوامر لأن هذه الخراطيش كانت مدهونة بشحم الخنزير والبقر وهما محرمان على المسلمين والهندوس، فقام الإنجليز بالحكم على عدد منهم بالسجن وتفننوا فى تعذيبهم وكان

ذلك يوم ٩ مايو وفى اليوم التالى ثار الجنود فى معسكر ميرت على رؤسائهم يقتلون ويدمرون ثم زحفوا إلى دهلى وفى يوم ١١ مايو حاول الجيش الإنجليزى صدهم عن دهلى ولكنهم هزموه ودخلوا دهلى وتجمع آلاف الجنود الثائرين من المسلمين والهندوس واختاروا الملك المغولى الكهل بهادر شاه قائداً لهم ورمزاً للثورة بعد أن رضيت عنه جميع الطوائف فانضوى المرهتها والهندوس والمسلمون تحت راية الحرب وقد جعل بهادر شاه قيادة الثورة لبعض أبنائه مثل «ميرزا مغل» و«خضر سلطان» وقاد المدفعية «بخت خان» وانقض الأهالى على الإنجليز مع الجنود فى كل مكان وأثاروا فيهم الرعب، ولكن الإنجليز استطاعوا أن يحتوا هذه الثورة ويقمعوها بعد أن ظهرت بوادر الفشل على هذه الثورة نتيجة سوء التخطيط وعدم تنظيم صفوف الثوار، بالإضافة إلى أن قادة الثورة لم يكن لديهم تجربة فى قيادة الجنود فأدى ذلك إلى ظهور عناصر فاسدة فى صفوف المجاهدين قامت بالنهب والتخريب وقد قوبل ذلك بتخطيط منظم دقيق من جانب الإنجليز، ووقوف السيخ وبعض رجال القلعة مثل ميرزا الهى بخش فى جانب الإنجليز مما دفع الملك إلى ترك القلعة هو وأهله وذهبوا إلى مقبرة «همايون» خارج دهلى طلباً للحماية فكان لهذه الخطوة تأثيرها السيء فى نفوس الثوار، حيث دب الذعر والخوف فى قلوبهم فما لبث الإنجليز أن سيطروا على الثورة فى ١٩ سبتمبر من نفس العام بعد أن استمرت أربعة أشهر.

وكان المسلمون هم قادة الثورة فتحملوا النصيب الأكبر من الظلم الذى بدأه الإنجليز بالقبض على بهادر شاه ظفر وزوجته وأولاده وقام الإنجليز بقتل «ميرزا مُغل» و«ميرزا خضر» و«ميرزا أبو بكر» وحكموا فى يوم ٢٧ يناير ١٨٥٨م على بهادر شاه بالنفى إلى رانجون فى بورما بتهمة قيادة فصائل الثورة فرحل إلى بورما فى ١٧ أكتوبر ١٨٥٧م، وفى أول نوفمبر سنة ١٨٥٨، أعلنت الملكة فيكتوريا ملكة بريطانيا ضم الهند إلى التاج مباشرة وخروجها من سلطة شركة الهند الشرقية وعينت اللورد كيننبح حاكماً عاماً للهند تحت سلطة التاج، ثم تفرغ الإنجليز بعد ذلك لإذلال الهنود وخاصة المسلمين الذين أذاقوهم من ضروب الانتقام والتنكيل مما لا يتسع المجال لسرده.

وفى الصفحات القادمة سأحاول أن أتناول مجتمع ما بعد الثورة من الناحيتين الاجتماعية والفكرية لنرى التغييرات التى أحدثها الإنجليز فى المجتمع الهندى.

الإنجليز والمسلمون بعد فشل حرب التحرير عام ١٨٥٧م

كان الإنجليز يعرفون جيداً أن عليهم - قبل أن يثبتوا أقدامهم فى الهند - محاربة المسلمين وكسر شوكتهم لأنهم كانوا يمثلون خطراً كبيراً عليهم ولا يستطيعون حكم الهند باطمئنان دون القضاء عليهم وكان لهذا العداء من جانب الإنجليز للمسلمين جذور قديمة قبل الثورة ولكنه ازداد حدة بعدها[١]، يقول ديوك أف ولنجتن بعد حرب غزنه وكابل عام ١٨٤٢م «لقد ثبت جيداً أن المسلمين الذين عاشوا عيلة علينا يبغضوننا من قلوبهم على عكس الهندوس الذين أظهروا فرحهم بانتصارنا». وفى سنة ١٨٤٣م، اعترف حاكم الهند اللورد النبرا بذلك حيث قال إننا «لا نستطيع أن نتغاضى عن هذه الحقيقة وهى أن المسلمين هم أعداؤنا الأصليون لذلك فخطتنا هى التقرب من الهندوس». لذلك بدأ الإنجليز فى الاستعداد للتقرب من الهندوس والهندوس تهيأوا للإخلاص والوفاء لهم وزاد عداء الحكومة للمسلمين وكراهيتهم لهم وأصبح المسلمون عاجزين[٢] أمامهم واستمرت خطة عداء المسلمين منذ ذلك الوقت حتى عام ١٨٧٠م، ولكن هذا العداء تضاعف بعد أحداث ١٨٥٧م بعد أن جعل الإنجليز مسئولية الثورة كاملة على المسلمين دون غيرهم من الطوائف الأخرى الذين شاركوهم هذه الثورة وبدأوا فى تنفيذ سلسلة من الإجراءات الانتقامية ضدهم وأصبح المسلمون مرفوضين من قبل البلاط الإنجليزى، وحدث تغيير هائل فى الهيكل الاجتماعى للهند نتيجة نهب الإنجليز لكنوزها وثرواتها حتى واجهت الهند المجاعة والإفلاس، وفى أثناء اندلاع الثورة قدر الإنجليز أهمية الولايات والحكومات المحلية وخطرها عليهم فقام اللورد كيننج بضم الكثير من هذه الولايات بعد الثورة إلى الحكومة الإنجليزية كما ساعدوا على تكوين طبقة من الإقطاعيين والعُمد وترعرعت هذه الطبقة فى ظل الإنجليز الذين كانوا يهدفون من ذلك أن تظل هذه الطبقة على ولائها لهم وبالتالى تصبح عقبه كئودا فى سبيل حرية الهند لأنهم سيفقدون امتيازاتهم فى ظل هذه الحرية[٣]، وسيطر الإنجليز على اقتصاد الهند فى تلك الفترة وأصبحت سوقا محتكرة لتجارتهم وكانت مزارع الشاى والصمغ

---

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى صـ ٢٦.

(٢) معين احسن جذبى. حالى كاسياسى شعور صـ ٣٠.

(٣) معين احسن جذبى: حالى كاسياسى شعور صـ ٢٢.

الهندى والبن والنيلة تُمول من الرأسماليين البريطانيين، وشجع الإنجليز بعد الثورة إقامة الأوربيين وسهل اللورد كيننج حصولهم على الأرض بإصدار قانون سماه «قانون الأرض البور» وبموجب هذا القانون أعطيت للأوروبيين مساحات واسعة من الأرض فى تلال الهند لتمكينهم من الإقامة فى جو أكثر ملاءمة لهم وأدى ذلك إلى تكوين مستعمرات زراعية فى آسام وبهار ونيلجرسى وجاء بعض أصحاب زراعة النيلة من الأوربيين من جزائر الهند الغربية واستغلوا المزارعين أسوأ استغلال وأذلوهم واستعبدوهم وكانت الحكومة تتغاضى عن ذلك لأن هذا الاستغلال الفظيع كان لصالح رأس المال البريطانى(١).

وكان المجتمع الهندى ينقسم إلى طبقتين قبل الاحتلال الإنجليزى، الأولى تضم أهل العلم وأهل الدين وأهل المال والاقطاعيين والثانية تضم الحرفيين والصنّاع وعندما جاء الإنجليز حصلوا هذا النظام واتبعوا سياسة تفريق الجماعات المختلفة حتى تضعف نفوذها واتبعت فى ذلك خطتها الشهيرة «فرق تسد» كما يقول السير جان مينرد: إن الحكومة الإنجليزية لا تستطيع أن تقوم وتستقر إذا لم يوجد تفرقة ظاهرة بين المسلمين والهندوس»(٢).

وبعد فشل الثورة تلاشت السلطة السياسية الباقية للمسلمين وانعكس هذا التحول السياسى على تدهور الأوضاع الاقتصادية والحضارية لهم ووقع المسلمون فى شرك الاحساس بالدونية والضآلة وانتشر فيهم الفقر والمرض والجهل ولم يعد هناك أى عمل يمارسونه ولم يبق هناك تصور واضح ومحدد لمستقبلهم بعد أن فترت هممهم ونضبت ملكات الفهم ومواهب التفكير لديهم وتراجعت قيمهم الأخلاقية والحضارية الموروثة أمام الأفكار والنظريات الغربية وأصبحت سحب اليأس والقنوط مخيمة على كل مكان وأصبح شبح الموت يحرم على أى شخص يخالف الإنجليز ولو مخالفة بسيطة(٣)، وحكمت بريطانيا الهند بقوة السيف وزادت وظائف الضباط الإنجليز ولكنها كانت فى الغالب أعمالا مكتبية وبدأ الهندوس فى العمل فى المكاتب الحكومية عند الإنجليز بعد أن أتقنوا اللغة الإنجليزية وتضاعفت أعداد التجار الإنجليز ونشط المبشرون ويقول

---

(١) على أدهم: الهند والغرب. صـ ٨٥، ٨٦.

(٢) معين أحسن جذبى: المرجع السابق: صـ ٢٨.

(*) اللورد كيننج حاكم الهند فى سنة ١٨٥٦ - ١٨٦٢.

(٣) محمد اكرام سانبوى: حالى واكبر كاخصوصى مطالعة صـ ٣٠٢.

گارسان دی تاسی » لم تسمح حكومة الشركة لفترة من الزمن بمجيىء المبشرين المسيحيين إلى الهند فقد كان في تصورهم أن الهندوسى لن يتخلى عن دينه وأن التعرض له والسخرية منه ليس فى صالحها لكن الحكومة الإنجليزية غيرت هذه الخطة وأعطت الحرية التامة لهؤلاء المبشرين، وكانت الحكومة تحافظ على حقوق الهنود الذين تحولوا بدينهم إلى المسيحية ولم تسمح لأحد بالتعرض لهم(١).

قام الدكتور وليم هنتر W. W. Hinter عام ١٨٧١م بتصوير المجتمع الهندى على أكمل وجه فى كتابة "Our indian Mosulmans" أى مسلمو هندنا والذى يعد من الكتب الموثوق بها فى هذا الصدد ويعد الكتاب الوحيد الذى صور بدقة أحوال المسلمين بعد فشل الثورة بعد أن كانت مجهولة لدينا وقد كتب هنتر هذا الكتاب بإيعاز من اللورد ميو Lord Mio وكان اللورد ميو مهتم اهتمام خاص بإدخال التعليم الإنجليزى ونشره بين المسلمين وأراد أن يعرف ما هى الأسباب التى تجعل المسلمين يكرهون الإنجليز وما السبيل إلى ارضائهم فكان هذا الكتاب الذى يقع فى أربعة أبواب قام فيه هنتر ببحث الأوضاع الاقتصادية للمسلمين فى الهند وذكر شكاوى المسلمين العديدة من الحكومة الإنجليزية يقول: « إن المسلمين يتهموننا دائمًا بأننا أغلقنا أمامهم جميع أبواب الحياة الكريمة، ويتهموننا بأننا حاولنا نشر التعليم الإنجليزى وهو غير مفيد للمسلمين وسببًا من أسباب ذلهم وخضوعهم، وأننا قمنا بعزل القضاة المسلمين وحكمنا على آلاف الأسر بالفقر على أن أكبر ذنوبنا فى نظرهم هو أننا استعملنا أوقاف المسلمين فى أشياء غير لائقة بها، وعلاوة على هذه التهم التى نعرفها بسهولة هناك العديد من التهم والشكاوى التى أساسها عاطفى بحت والتى ربما لا ترد على عقول الإنجليز »(٢).

ثم يقول هنتر مصوراً حالة الثراء والعظمة والتى كان المسلمين يعيشون فيها قبل مجيء الإنجليز ثم ما آل إليهم من ذل ومهانة بعد استيلاء الإنجليز على الهند وزوال سلطة المسلمين: - « إذا أراد أحد الساسة فى مجلس العموم أن يتولد لديه الشعور بالهيبة والرهبة فيكفيه أن يحكى بصدق أوضاع مسلمى البنغال الذين كانوا يعيشون فى قصور فخمة ويركبون العربات التى يجرها الخيول وعندهم الخدم لكن الآن انقلب الحال وصاروا

---

(١) گارسان دى تاسى. مقالات گارسان دى تاسى. حصة دوم (الترجمة الأردية) ص ١٨٥.

(٢) هنتر: همارسے هندوستانى مسلمان. ترجمة صادق حسين. لاهور. ١٩٦٢م، ص ٢١٩، ٢٢٠.

يعيشون في منازل متهدمة ولهم دخل متواضع وازداد وقوعهم فى مستنقع الاستدانة يوما بعد يوم حتى قام دائنوهم يرفعون دعاوى عليهم واستولوا على منازلهم وأراضيهم وكانت نهاية للأسر المسلمة العريقة»(١). وقد صور حالى الوضع الاجتماعى للمسلمين بعد الثورة فى مقدمة مسدسه «مسدس حالى» وقد أطلق حالى على الثورة اسم «عتاب ذو الجلال»، يقول: «أصبحت حالة القوم متردية للغاية وصار العزيز ذليلا ومرغت كرامة الشرفاء فى التراب وكانت نهاية للعلم، فلم يبق من العلم سوى اسمه ومن الدين سوى رسمه وتفشت المجاعات وعشش الفقر على كل منزل وفسدت الأخلاق وخيمّت سُحب التعصب السوداء والكثيفة على المسلمين وتقيدوا باغلال العُرف وبقيود التقاليد وعم الجهل وتسلطت البدع علي رقاب العباد وأصبح الأمراء المسلمون غافلين عما يدور حولهم من مؤامرات، غير مكترثين بها، والعلماء الذين يُعّول عليهم فى إصلاح المجتمع كانوا يجهلون ضروريات العصر ومقتضياته»(٢).

ثم يقول هنتر: «فى الحقيقة عندما وقعت هذه البلد (الهند) فى قبضتنا كان المسلمون على رأس جميع القوميات الأخرى، وكانوا علية القوم ولم يكن تفوقهم هذا ناتجا عن شجاعتهم وقوة جاشهم فحسب بل كانت لديهم ملكة المهارة السياسية والإدارية وعلى الرغم من ذلك أغلقت الحكومة أمامهم جميع الوظائف الحكومية والمناصب الرسمية وغير الرسمية وذكر هنتر بعد ذلك أسباب العداوة بين الإنجليز والمسلمين فقال: إن الحكومة الإنجليزية منعت عنهم الوظائف الهامة مثل الجيش والبوليس والقضاء والمكاتب الحكومية وكانت هذه الإدارات مصدر رزق المسلمين ولكن الإنجليز قضوا على هذا المصدر بالإضافة إلى استيلاء الحكومة على الحرف غير الحكومية الأخرى مثل الطب والمحاماة وكانتا حكرًا على المسلمين دون غيرهم وبدأ الإنجليز في نشر الطب الغربى تدريجيا(٣).

ثم يقول هنتر: «لقد سلبت جميع الوظائف العليا والدنيا من المسلمين بالتدريج وأعطيت للقوميات الأخرى وبالأخص للهندوس، ووصل اضطهاد المسلمين لدرجة أن الإنجليز كانوا يعلنون عن وظائف المسلمين فى المجلات الحكومية فى مكان منفصل علانية وعندما تنفذ هذه الوظائف فى أيام محدودة من الإعلان فإن الحاكم الإنجليزى يقول إننا

---

(١) المرجع السابق. ص ٧٤ – ٧٥.

(٢) حالى: مسدس حالى. المقدمة ص ٦.

(٣) هنتر: المرجع السابق ص: ٢٢٥ – ٢٢٦.

لن نعطى هذه الوظائف لأحد قط سوى الهندوس، وقد عقد هنتر مقارنة بالأرقام بين المسلمين والسيخ والهندوس بالنسبة لتولى الوظائف والمناصب الحكومية ويتضح من هذه المقارنة مدى الظلم الذى ألحقه الإنجليز بالمسلمين حتى جاء حين من الدهر لم يكن نصيب المسلمين من هذه الوظائف سوى بعض الحراس والسعاه(١) والخدم(٢).

وفى النهاية اضطرت الحكومة الإنجليزية إلى تغيير خطتها عام ١٨٧١م مع المسلمين بعد أن كشف هنتر لها أسباب هذا العداء وبدأت مرحلة من التعاون والتفاهم بين الإنجليز والمسلمين وهدأت نغمة الجهاد بعد أن استصدر الإنجليز عدة فتاوى موقع عليها من علماء مكة بالذات لمكانتهم(*) فى نظر المسلمين فى الهند للقضاء على فكرة الجهاد ولإبطال فتوى شاه عبد العزيز الشهيرة والتى أفتاها عام ١٨٠٣م، ونادى فيها بوجوب الجهاد ضد الإنجليز، وصدرت فتوى من بعض علماء الهند فى سنة ١٨٧٠م تنادى بالتعاون مع الإنجليز، وبدأت الحكومة الإنجليزية فى التعاون مع العلماء الذين يعتبرون الجهاد غير جائز شرعا مثل مولوى عبد اللطيف خان فى كلكتا والذى تعاون مع الإنجليز وكان فى طليعة المدافعين عن التعليم الإنجليز وأيضًا هناك أحد مريدى السيد أحمد الشهيد فى البنغال هو مولوى كرامت على جونبورى الذى أفتى بأن جهاد الإنجليز غير جائز، على أن أهم الشخصيات التى تعاونت مع الإنجليز وبدأ صفحة جديدة من العمل القومى للمسلمين كان السير سيد أحمد خان.

وفى الصفحات القادمة سأتحدث عن حركته المعروفة على گرط هـ من الجانب السياسى والاجتماعى وسأرجىء الحديث عن جوانبها الثقافية والتعليمية للجزء الخاص بالحياة الفكرية.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٠.

(٢) الشيخ محمد إكرام. موج كوثر. صـ ٧٥ - ٧٦. وعبد القيوم. حالى كى ارد ونثر نگارى. صـ ٢٧. ومحمد اكرام سانبوى. حالى وأكبر كاخصوصى مطالعه صـ ٣.

(*) شاه عبد العزيز: شاة عبد العزيز الدهلوى هو ابن شاه ولى الله الدهلوى المحدث والمصلح السياسى والدينى ولد سنة ١٧٤٦م، وتلقى تعليمه الأولى على يد أبوه فى مسجد دهلى الجامع فتعلم العلوم الدينية كالفقه والحديث وحفظ القرآن الكريم وفي سنة ١٧٦٢م توفى أبوه شاه ولى الله فخلفه على مدرسته وفكره فتطورت حركة شاه ولى الله على عهده وكان هدف شاه عبد العزيز مثل أبيه أن يقيم الحكومة الإسلامية وقد ظل يجاهد لتحقيق هذا الهدف سبعين عاما إلا أن الإنجليز أعلنوا رفضهم لتطبيق الشريعة الإسلامية فاصدر فتوى فحواها أن جميع المنطقة الواقعة تحت حكم الإنجليز والممتدة من دهلى إلى كلكتا هى دار حرب وليست دار إسلام، ومن أشهر كتبه كتاب: «فتح العزيز» وتوفى عام ١٨٢٤م. (معين أحسن جذبى، حالى كاسياسى شعور ص ٤١، ٤٢

الحركة الثانية: حركة على گرھ

بعد أن انتهت فعالية «حركة المجاهدين» عسكريا عام ١٨٧٢م بعد سلسلة الحروب المستمرة التى خاضتها ضد الإنجليز ومعارضة حكومتهم فى الهند، ظهرت حركة جديدة تدعو المسلمين للتعاون مع الإنجليز وعرفت هذه الحركة باسم «حركة على گرھ» وراد هذه الحركة السير سيد أحمد خان.

وقد رأى السير سيد سلطة الإنجليز المتزايدة فتيقن منذ البداية أن سلطة حكومة بهادر شاه المحدودة داخل أسوار القلعة فى طريقها إلى الزول وأن الإنجليز هم الذين يحكمون الهند فعليا وسوف تستمر دولتهم ولم تغب عنه هذه الحقيقة حتى فى أحلك الظروف فى أثناء اندلاع ثورة ١٨٥٧م عندما تزلزلت دعائم الحكومة الإنجليزية نفسها في الهند وعلى حد قول حالى فأن الجانب العقلى كان يتغلب علي طبيعته وتفكيره(١).

وعمل السير سيد(٢) موظفا لدى الإنجليز وكان يرى أيام الثورة أن المسلمين ليس لهم أى قوة يستطيعون بها مواجهة الإنجليزو وبعد الثورة حدثت تغيرات سياسية وحضارية هائلة لم يكن لها مثيل من قبل فى تاريخ المسلمين فى الهند فقد أصبحوامحكومين وبدأوا يواجهون مرحلة الدفاع للبقاء فلم تكن ثورة ١٨٥٧م مجرد ثورة قام بها العسكر بل كانت بركانا اجتماعيا متفجرا غيّر الخريطة الاجتماعية لشبه القارة الهندية.

وبدأت المنافسة بين الطوائف المختلفة داخل الهند وبدأوا يتقربون للإنجليز وخاصة

---

(١) معين أحسن جذبى: حالى كاسياسى شعور ص ٥٣.

(٢) ولد السير سيد أحمد خان فى دهلى عام ١٨٨٧م، وكان أبوه ميرتقى من مريدى شاه غلام على صاحب الطريقة النقشبندية وكان المسلمون فى ذلك الوقت يعيشون حياة بائسة يخيم اليأس على جنباتها ومع ذلك كانت دهلى حيث تربى السير سيد تغص بمشاهير العلوم والفنون بالرغم من تدهور الأحوال السياسية والاقتصادية والأخلاقية فيها، وتلقى السير سيد تعليمه الأولى طبقًا للتقاليد القديمة فقرأ القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وحضر مجالس الوعظ التى كان السيد أحمد الشهيد يلقيها فى المسجد الجامع وقد أحدثت وقائع ثورة ١٨٥٧م انقلابا فى حياته فقام بدراسة أوضاع المسلمين وقارن بين تقدم الإنجليز وتاخر المسلمين. وقد منحته الحكومة «الإنجليزية لقب» SIR وتوفى عام ١٨٩٨م.

(حالى: حيات جاويد ص ٢٢، ٢٣).

- محمد اكرام: موج كوثر ص ٧٨ - ٧٩.

- عبد القيم: حالى كى ارد ونثر نكارى ص ٢٣ - ٢٤.

الهندوس والسيخ وبدأ المسلمون يفكرون فى الحفاظ على دينهم ولغتهم وحضارتهم ولم تكن لديهم أى خطة لذلك(١)، وقرر السير سيد الهجرة إلى مصر حيث قال «لم أكن أتصور فى ذلك الوقت أن يأتى على قومى يوم يستطيعون أن ينالوا فيه عزتهم وتتحسن أحوالهم». ونستطيع أن نقدر حالة المسلمين المتردية من قول السير سيد هذا، ولكن السير سيد غير رأيه فى الهجرة وقرر أنه «ليس من الشهامة والرجولة أن أترك قومى فى هذا الوضع الصعب وألتمس لنفسى العافية والسلامة، لا، يجب أن أبقى لأشاركهم فى هذه المصيبة وأعقد همتى وعزمى لإبعاد هذه المصائب عنهم(٢)، لذلك قام السير سيد بمحاولة مد جسور التعاون مع الإنجليز ولينهى العداء الذى يعتمل فى قلوب الإنجليز تجاه المسلمين، وكان سبيله إلى ذلك تقديم تفسير جديد لنظرية الجهاد المسيطرة على تفكير الحكومة الإنجليزية يرضى بها ميولهم وتكون بمثابة بداية عهد جديد من العلاقات بين المسلمين والإنجليز فقال: إن الجهاد غير مباح إلا فى حالة القهر الصراح أو الحيلولة بين المسلمين وممارسة شعائر دينهم مما يضر بأسس بعض أركان الإسلام، ولما كان البريطانيون يكفلون الحرية الدينية فليس هناك من الشروط ما يبرر الجهاد ضدهم أما فيما يتعلق بمسألة ما إذا كانت الهند دار حرب أم دار إسلام فيرى أنه يمكن وصفها بالوصفين كليهما وإن كان من الأوفق أن تسمى بدار الأمان(٣). ثم قام السير سيد ومولانا جراغ على بتمييع نظرية الجهاد حتى يقنعوا الإنجليز أن الإسلام دين سلمى أساسا وأن الهنود المسلمين يمكن أن يكونوا رعايا مخلصين للامبراطورية البريطانية وعلى ذلك فإن الطبقات الوسطى والعليا من المسلمين التى كانت تعتمد فى كسب قوتها إلى حد كبير على الوظائف الحكومية روادتها الآمال فى تحسين علاقاتها بالإنجليز(٤). وكتب السير سيد بعد ذلك رسالة «أسباب بغاوت هند» أى أسباب الثورة الهندية كشف فيها أسباب الثورة الحقيقية وبرأ المسلمين من تهمة اشعالها ثم كتب رسالة أخرى رد فيها على كتاب هنتر «مسلمو هندنا» وكان هنتر قد ذكر فى كتابه هذا أن المسلمين لن

---

(١) عبد القيوم، المرجع السابق، صـ ٢٧.

(٢) محمد اكرام. موج كوثر: صـ ٧٧.

(٣) رود لف بيترز: الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث صـ ٧٠.

(٤) رود لف بيترز: الإسلام والاستعمار: عقيدة الجهاد فى التاريخ الحديث صـ ٧٢.

يكونوا رعية صالحة خاصة للإنجليز ما داموا متمسكين بالقرآن(١). وقد رد السير سيد تدهور أحوال المسلمين إلى سببين، الأول: نقص التعليم لديهم والثانى: عدم الاتحاد والامتزاج بالإنجليز الذى سلطهم الله عليهم وتفاقم الكراهية والبغضاء بينهما لذلك أكد السير سيد على المصالحة مع الإنجليز والتعليم والتربية من أجل صالح المسلمين، وكان يعرف جيداً أن أى حكومة لا يمكن أن تستمد سلطتها بقوة السيف بل من الضرورى أن تنشأ عاطفة الألفة بين الحاكم والمحكوم التى هى فى نظره أساس الحكم ويترتب على ذلك حل مشاكل المسلمين السياسية والاجتماعية وقد قضى السير سيد طيلة عمره يعمل بهذه النظرية ويحاول التقرب من الإنجليزحتى يظفر المسلمون بالوظائف والمناصب العالية والتى يمكنهم عن طريقها الحصول على حقوقهم السياسية(٢)، وقام السير سيد فى سبيل هذه المهمة بتشبيه الهند فى إحدى خطبه «بالزوجة التى يريد أن يزوجها بالأمة الإنجليزية وطبقًا لتصوره فأنه «من أجل صالح الهند يجب استمرار الحكومة الإنجليزية(٣)، أو يدوم هذا الزواج السياسى. ونلاحظ أن فكرة السيد سيد هذه كانت مطابقة لفكرة رائجة فى العالم الإسلامى آنذاك.

وقام السير سيد بالعمل الوطنى من أجل جميع طوائف الهند فأقام مدرسة «غازى پور» «المجتمع العلمى» واشترك فيهما الهندوس جنبا إلى جنب مع المسلمين، ولكن أثناء إقامته فى بنارس وقعت حادثة جعلته يغير من وجهة(٤) نظره «حيث قام الهندوس بحركة مطالبين فيها بايقاف التعامل باللغة الأردية والخط الفارسى فى جميع المحاكم والإدارات الحكومية والاستعانة بدلا من ذلك بلغة البهاشا(*)، والخط الديوناگرى وقد

---

(١) حالى: حيات جاويد ص ١٧٤ - ١٨٣.

(٢) معين أحسن جذبى: حالى كاسياسى شعور ص ٥٣ - ٥٥.

(٣) حالى: حيات جاويد جـ ٢، ص ٢٩٢.

(٤) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص ٢٨.

(*) لغة البهاشا: لغة البهاشا أو «برج بهاشا» هى إحدى اللغات الهندية القديمة التى كان يتحدث بها الآريون الذين كانوا يتحدثون آنذاك بلغات متباينة أشهرها لغة التاميل والتليگو وأوريا، وعندما أرادوا أن يحافظوا على لغتهم خوفا من الضياع وسط هذا الكم الهائل من اللغات الهندية، قاموا بوضع أسس وقواعد صارمة للغتهم هذه وأطلقوا عليها اسم «اللغة السنسكريتية» أى اللغة الفصيحة ودونوها بالأبجدية التى لا تزال موجودة حتى الآن - والمعروفة بـ ديوناگرى، وقد تطورت لغة البهاشا عن لغة الشورسينى وأصبحت أكثر نضجا وانتشارا فتحدث الناس بها من لاهور حتى الله آباد والسند ومالوه. (١ے حميد: ارد ونثر كى داستان جـ ١. ص ٢ - ٣). =

علم بذلك السير سيد وتألم وقال: إن هذه أول مرة أتأكد فيها أن الهندوس والمسلمين يسيرون فى طريقين مختلفين ومن الصعب التقاؤهما»[١]. وكانت هذه الحادثة عام ١٨٦٨ م فتغيرت أفكار السير سيد وخططه واعترف أنه «من المستحيل أن يحكم الهند أحد من المسلمين أو الهندوس ويستطيع أن يقيم العدل «وأن الأفضل فى نظره أن يأتى «قوم آخرون ليحكمونا»[٢]، وبناءً على هذه الدلائل قرر أنه «من الضرورى أن تبقى الحكومة الإنجليزية تحكم الهند للأبد «وقدم عدة نصائح للحكومة الإنجليزية واقترح على الحكومة» أن يكون لكل من المسلمين والهندوس جيش منفصل عن الآخر حتى إذا ثار فريق منهما ردعه الفريق الآخر»[٣]، وبذلك تضمن الحكومة الإنجليزية حكمها للأبد.

ونجح السير سيد فى خطته واقتنع الإنجليز بأن المسلمين قد ظلموا بغير وجه حق فانفرجت سياستهم تجاههم وجنحت إلى اللين وفُتحت لهم أبواب الوظائف والمناصب المختلفة.

وفى سنة ١٨٦٩م سافر السير سيد إلى إنجلترا مع ولديه سيد محمود وسيد حامد لإلحاقهما فى الجامعة هناك بناء على نصيحة صديقه كرنل گريهم وظل فى لندن أكثر من عام اطلع فيه على الحضارة الغربية وسنحت له الفرصة لمشاهدة التقدم العلمى والحياة الاجتماعية هناك وجمع مواد كتابه «خطبات أحمدية» للرد على كتاب «حياة محمد» للسير وليم ميور[٤] إلى جانب إطلاعه على الجامعات الإنجليزية ثم عاد فى ٢ أكتوبر ١٨٧٠م وعنده الرغبة الكاملة فى نشر التعليم الإنجليزى بين المسلمين ومنذ ذلك التاريخ بدأت تتضح معالم حركة على گرھ وخاصة عندما أصدر جريدة «تهذيب الأخلاق فى ٢٤ ديسمبر ١٨٧٠م من أجل نشر أفكاره التعليمية والدينية ومحاربة أمراض المسلمين الاجتماعية وقد تناول فيها عدة موضوعات تهم المسلمين وقال فى أول عدد.

إن الهدف من صدور هذه المجلة وهو ترغيب مسلمى الهند فى الإقبال على الحضارة

= وتعتبر لغة «برج بهاشا» المنبع الذى خرجت منه اللغة الأردية، ففى الوقت الذى كانت فيه اللغة الأردية لا تزال فى مهدها كانت لغة «برج بهاشا» قد وصلت إلى الكمال.

(محمد حسين آزاد: آب حيات. ص ٩).

(١) حالى: حيات جاويد. ص ٧٨ – ٧٩.

(٢) السير سيد. مجموعة پـائے لكجر صـ ١٦٨ – ٢٥٩.

(٣) السير سيد: أسباب بغاوت هند.

(٤) حالى: حيات جاويد صـ ٨٢ – ٨٣.

الكاملة التى تعنى بجميع نواحى الحياة واستخدم لذلك اللفظ الإنجليزى Civiliaation حتى لا تنظر إليهم الأمم المتحضرة بعين الازدراء ويطلق عليهم لقب متحضرين، وتناول فى مجلته الموضوعات التى تحث على تقليد الغرب وحضارتهم فى العادات والتقاليد والتعليم والتربية وطريقة البحث وتناول الطعام وفى الملبس، وبدأ يتحدث فيها عن موضوعات تمس جميع جوانب الحياة، وقد تعرض السير سيد للموضوعات الدينية فى مجلته مثل تفسيره للقرآن الكريم والإنجيل ومحاولة تأويل آيات القرآن وأوامر الشريعة طبقًا لآراء الفلاسفة الغربين الباطلة فأنكر الوحى والمعجزات ووجود الجن ونظام تعدد الزوجات والرق فى الإسلام وغيرها من الآراء التى كانت سببا فى المعارضة الشديدة لها من قبل العلماء ورجال الدين المسلمين الذين أصدروا الفتاوى بتكفيره واتهموه بأنه أصبح مسيحيًا وأنه من الدهريين. ويقول حالى عن هذه الجريدة أنها «لم يكن لها تأثير واضح على دهلى ولكناو ونواحيهما حيث الثقافة الإسلامية المتأصلة فى المسلمين من القديم، ولأنها تعرضت لبعض الأفكار الدينية التى لم يستسيغها العوام بالطبع فانتشر المعارضون لها فى أنحاء الهند بمجرد إصدار عددين منها وأطلق عليه المسلمون لقب(١) دهرى»(*)، ويقول معين الدين عقيل:

لقد لاقت أفكار السير سيد الدينية معارضة شديدة فى أوساط المسلمين لأنها اتجهت وجهة جديدة خاصة عندما حاول أن يفسر القرآن بطريقة جديدة غير مألوفة لديهم وهذا

---

(١) حالى: حيات جاويد ص ٨٥ - ٨٦.

(*) الدهرية: كلمة عربية ماخوذة من الآية ٢٣ من صورة الجاثية التى تقول بلسان الكفار «وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون» وتطلق الدهرية على أولئك الذين انكروا الاعتقاد فى الله وانكروا خلق العالم والعناية الآلهية، ولم يسلموا بما جاءت به الاديان الحقة الشرائع السماوية والبعث والعقاب وقالوا بقدم الدهروان المادة لا تفنى وان كل ما حدث فى العالم إنما يرد إلى فعل القوانين الطبيعية اى إلى حركة الأفلاك، وقد ذكر الشهرستانى فى فقرة من فقرات كتابه إنهم ينكرون المعقولات ولا يعترفون إلا بالمحسوسات. ونجد تعريفا للدهرية يقول إنهم يسلمون بوجود الله ولكنهم يفسرون أصل العالم باجتماع الجواهر الفرد على غير هدى فى دوراتها فى الفضاء. ونقرب كثيرا من معنى كلمة الدهرية إذا ترجمناها بكلمة Naturalists اى الماديين أو بكلمة Materiali-sts اى الطبيعيين. ويفرق الغزالى فى كتابه «المنقذ من الضلال» بين الدهرية والطبيعيين الذين ينكرون تجوهر النفس ومن ثم خلودها مع تسليمهم بوجود إله خالق مهيمن، ولجمال الدين الأفغانى رسالة فى الرد على الدهرية (دائرة المعارف الإسلامية: المجلد التاسع ص ٣٣٧ - ٣٣٩).
وقد نشأ مذهب الطبيعة فى اوربا وروج له أنصار دارون صاحب نظرية «النشوء والتطور».

أمر طبيعى فالسير سيد لم يكن مفكرا دينيا ولم تكن حركته دينية بل كانت حركة سياسية وحضارية »[١].

وعلى الرغم من المعارضة الشديدة التى لاقاها السير سيد من المسلمين وخاصة علماء الدين إلا أنه واصل جهوده الإصلاحية فى مجال التعليم وأسس كلية على گرط هـ العصرية لتدريس العلوم الغربية. وسأتحدث عنها فى الجزء الخاص بالحالة الفكرية فى عصر حالى.

obeikandl.com

(١) معين الدين عقيل. تحريک آزادى مين ارد وكاحصه ص ٢٨٧ - ٢٩١.

المعارضون لحركة علی گرط هـ

عارض كثير من المسلمين حركة علی گرط هـ ورائدها السير سيد بعد أن اتهموه بالكفر والخروج على جماعة المسلمين لأنه نادى بأفكار معارضة للعقيدة الإسلامية وكان على رأس هؤلاء المعارضين لحركة علی گرط هـ مولوی إمداد علی ومولوی علی بخش وكان هذان السيدان على خلاف فيما بينهما من ناحية العقيدة الدينية ولكنهما اشتركا فی معارضتهما لحركة علی گرط هـ ويقول حالی : «إن المعارضة التی ظهرت فی أنحاء الهند ضد حركة علی گرط هـ كان مصدرها هذين السيدين»(١)، وقد استمرت هذه المعارضة ردحًا من الوقت وكان السبب الرئيسی فی معارضة مولوی إمداد علی ومولوی علی بخش يرجع إلى شكوكهما فی أفكار السير سيد الدينية، لأنه حاول تفسير الأمور الدينية تفسيرًا طبقًا لضروريات العصر وأنكر تقاليد المسلمين الموروثة لذلك أصبح المسلمون معارضين لشخصية السير سيد بعد أن عارضوا مهمته الإصلاحية ولم يرحب الناس باجتهاده لاعتقادهم أنه سوف يؤثر بأفكاره الإلحادية عليهم(٢)، وقامت عدة مجلات معارضة لمجلة «تهذيب الأخلاق» للرد على السير سيد وأشهر هذه المجلات مجلتا «نور الأنوار» و «نور الآفاق».

ويقول العلامة وحيد الدين خان لم ينتبه أحد من الزعماء المسلمين إلى الفكر الإيجابی الذی عبر عنه حالی فی بيت شعر له يقول: «در مع الدهر كيف دار(*)، وقد سلك هذا الاتجاه السير سيد وهو من الشخصيات سيئة السمعة، فكان يقول إن الحكومة الإنجليزية قد سدت علينا أبواب العمل السياسی ولكن أبواب التعمير والبناء الأخرى مفتوحة أمامنا ولذلك دعا إلى الإقبال على العلوم الغربية، لكن ماذا كان هدفه من وراء تعلم علوم الغرب؟ لقد كشف عن ذلك رفيقه الحميم ألطاف حسين حالی فی بيت شعر آخر يقول «تعالی، يا حالی لنقلد الغرب، الآن» لقد كان هدف السير سيد من هذا التقليد هو أن يمّكن المسلمين من الحصول على أعلى المناصب فی ظل الحكومة

---

(١) حالی: حيات جاويد صـ ٤٠٢.

(٢) عبد القيوم: حالی كی ارد ونثر نگاری صـ ٣١.

(*) جُس رُخ رُمانه پھرے اُسی رخ پھر جاو.

الاستعمارية القائمة وكانت الحضارة التى نادى بها كما سماها أحد تلاميذه مهدى أفادى – بكل حق بأنها «الثقافة الأنجلو إسلامية» فهى ثقافة ذات قشور إسلامية مظهرية وطبيعة إنجليزية، قامت على التقليد(١).

وقد اختلفت الآراء بصدد تصنيف حركة السير سيد، فإلى أى الحركات تنتمى وتحت أى الحركات تندرج ففى حين يعتبرها البعض حركة دينية، كما قال حالى إن الدين كان المحرك الأساسى لأفكار السير سيد الإصلاحية، نعم قد ينطبق هذا الرأى على المراحل الأولى من تفكير السير سيد لأن نجاح أى حركة فى ذلك الوقت كان مرهونًا بجعل الدين هدفًا أساسيًا من أهداف هذه الحركة أو تلك، إلا أن السير سيد انسلخ عن آرائه الدينية التى جعلها حالى المحرك الأساسى لحركته.

ويعتبرها البعض الآخر حركة اجتماعية، على حين يؤكد فريق ثالث أنها حركة تعليمية، لكن الدكتور معين أحسن جذبى يعتبرها حركة سياسية نشأت فى ظل أوضاع المسلمين الاجتماعية ولها جوانبها الدينية والاجتماعية والتعليمية التى ينخدع بها المرء.

علماء الدين الذين عارضوا حركة على گرھ:

عارض رجال الدين حركة على گرھ التى نادت بضرورة تعليم المسلمين العلوم الغربية الحديثة واتهموه بالكفر والذندقة وموالاة الإنجليز وكان على رأس هؤلاء العلماء السلفيين: –

حاجى امداد الله ومولانا محمد قاسم نانوتوى ومولانا رشيد الدين أحمد كنگوهى والشيخ حسين مدنى والمفتى عزيز الرحمن الذى أفتى بكفر السير سيد(٢)، وكان من بين المفكرين الذين عارضوا السير سيد أحمد خان وحركة على گرھ كل من شبلى النعمانى مؤسس «ندوة العماء» فى لكناؤ ومولوى امداد على ومولوى على بخش وقاموا بإصدار مجلتا «نور الأنوار» و «نور الآفاق» وقد تشكك هؤلاء جميعًا فى أفكار السير سيد الدينية لأنه حاول تفسير الأمور الدينية تفسيرا عصريًا أنكر فيه تقاليد المسلمين الموروثة(٣).

---

(١) وحيد الدين خان، المسلمون بين الماضى والحاضر والمستقبل صـ ٥٢، ٥٣، صـ ٢٣، ٢٤.

(٢) محمد إكرام: موج كوثر ص ٤٣.

(٣) حالى: حيات جاويد ص ٤٠٤ – ٤٠٥.

٢ - الحالة الفكرية فى عصر حالى

اهتم المسلمين منذ فتحهم للهند اهتمامًا كبيرًا بالناحية الفكرية(*)، ونشر التعليم والثقافة الإسلامية فى أرجاء الهند المختلفة، وعندما دخل المغوب الهند اهتم ملوكهم اهتمامًا خاصًا بالناحية الثقافية بما فيها التعليم وكان لكل من الامبراطور بابر وهمايون حظ وفير من الذوق السليم وكان بابر أديبًا ترك لنا مذكراته فى كتاب «توزك بابرى» وكان همايون من العلماء فاهتم بالفلك والحساب والجغرافيا واهتم أباطرة المغول كاسلافهم الأفغان والترك بالعلوم والفنون حتى بلغت الحياة الثقافية ذروتها فى عهد أكبر وأدرجت بعض المواد الخاصة مثل المنطق وعلم الحساب والجبر والفلك والإدارة العامة ضمن المنهج الدراسى وتميز التعليم فى عهده بالطابع العلمانى(١).

وبعد انتهاء نفوذ حكومة المغول فى دهلى، كان فى روهيلكند ونواحيها من مملكة أَوَدَه خمسة آلاف من العلماء يدرسون فى المدرس المختلفة ويدفع لهم حافظ رحمت خان مرتباتهم، ويقول تيلر: لا يختلف اثنان على أن الهند كانت مركزا علميًا كبيرًا يتفجر منه نور العلم وكانت الأمم الأوربية القديمة المتحضرة ترتوى من ذلك المنهل العذب وتتحلى بما فيه من علم وأدب وصناعة.

وبعد مجيء الإنجليز للهند واحتلالها حاولوا نشر نظام تعليمهم ولغتهم وكان الهدف من ذلك تخريج عقول فارغة من الثقافة الإسلامية يدينون لهم ويستفيدوا منهم فى الوظائف المختلفة التى تخدم مصالحهم الاستعمارية، فقاموا بالقضاء على التعليم الدينى واستولوا على الأوقاف الإسلامية التى وقفها كبار المسلمين للإنفاق منها على التعليم

(*) انشأ المسلمون منذ دخولهم الهند المدارس والكتاتيب واقاموا حلقات العلم والوعظ فى المساجد والزوايا لتعليم العلوم الإسلامية وكان السلاطين والأمراء واهل البر يوقفون المال الوفير لهذا الغرض، فقد انشأ السلطان محمود الغزنوى مدرسة فى غزنة وأخرى فى لاهور وجاء بعده محمد الغورى الذى انشأ عدة مدارس فى أجمير، ثم جاء السلطان التمش وانشأ أول مدرسة فى دهلى سماها «المدرسة المعزية» وفى عهد محمد تغلق أقيمت عدة مدارس فى دهلى، يقول القلقشندى فى كتابه «صبح الا عشى» الذى الفه فى عهد محمد تغلق عند وصف دهلى «وفيها الف مدرسة منها مدرسة واحدة للشافعية وباقيها للحنفية وبها نحو سبعين بيمارستانا وتسمى دور الشفاء».

(القلقشندى: صبح الاعشى جـ ٥. طبعة الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٣. ص ٦٩).

(١) محمد اكرام: موج كوثر. إدارات ثقافت إسلامية. لاهور ط ١٩، ١٩٧٥م، ص ١٧ - ١٨.

الدينى وأحلوا محله التعليم الإنجليزى المدنى الذى لا يخدم إلا أهدافهم[١].

وتنفيذاً لهذه الخطة قامت محاولات عديدة لنقل التعليم الغربى بكل حسناته وعيوبه إلى الهند بقدر الإمكان وقام راجاجى پور بتأسيس ٢٨٤ مدرسة فى ولايته وقام اللورد ميو وعقد اجتماعا لأمراء اجمير واطلعهم فيه على رغبته فى إقامة كلية لتعليم الأطفال وقام الإنجليز بفتح مدارس للبنات فى بومباى[٢].

وكان الإنجليز يعتقدون فى البداية أن نشر التعليم الجديد ضرورى من أجل إحكام سيطرة الحكومة البريطانية لذلك سن البرلمان فى عام ١٨١٣ م قانوناً يدعو إلى تعليم الهنود العلوم الجديدة، فلم يكن فى ذلك الوقت أى مدارس نظامية حكومية سوى مدارس المبشرين[٣]، وفى سنة ١٨١٧ تأسست الكلية الهندوسية فى البنغال واهتمت بالتعليم الإنجليزى وكما يقول عبد الله يوسف: فإن اللغات المعترف بها ويتم بها التدريس هى الإنجليز والبنغالية والفارسية ولكن الاهتمام كان منصباً أكثر على اللغة الإنجليزية وبدأ الطلبة يتقدمون بسرعة فى التعليم الإنجليزى وعندما رفض أصحاب الاتجاه القديم التعليم الإنجليزى ثار رام موهن رأى وأعلن أن تعليم اللغة السنسكريتية بلا فائدة ودافع عن التعليم الجديد، وانتشر التعليم فى البنغال أكثر بسبب التواجد الإنجليزى فيها[٤].

وفى سنة ١٨٢٥ أقيمت «دهلى كالج» كلية دهلى وبدأت فى نشر العلوم الغربية واهتمت أكثر بالعلوم المتقدمة وقل اهتمامها بالأدب على عكس الكلية الهندوسية «هندو كالج» وكلية فورت وليم التى أنشئت عام ١٧٩٩م، فقام طلبة «دهلى كالج» وأساتذتها بكتابة كتب عديدة فى مختلف العلوم والفنون وترجموا العديد من الكتب من اللغات الأخرى إلى اللغة الأردية وكان لهذه الكلية دور كبير فى نشر العلوم الجديدة[٥]، وكانت هذه الكلية تمثل صحوة فى شمال الهند وقد ركزت على جمع عناصر الشرق والغرب معا تحت سقف واحد وقام أساتذتها وطلابها بكتابة مؤلفات

---

(١) طفيل احمد: روشن مستقبل، دهلى. ١٩٤٥م ص ٩ – ١١.

(٢) گارسان دى تا سى: مقالات گارسان دى تاسى. جلد أول. انجمن ترقى ارد وباكستان الطبعة الثانية. ١٩٦٩م، ص ٤٩.

(٣) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص ٢٢.

(٤) عبد الله يوسف على: انگريزى عهد ميں هندوستان كے تمدن كى تاريخ ص ١٥٣.

(٥) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى ص ٢٢.

عديدة فى العلوم الطبيعية والاجتماعية والفلسفة والأدب والنقد والمعاجم كما ضمت داراً للترجمة مما جعل أهل الأردية يطلقون عليها اسم «نشأة ثانية» أى حركة البعث ومن أساتذة هذه الكلية هـ. د. تيلر وبطرس شبرنجر ووزير على وأمير على ورام چندر ومملوك على أستاذ اللغة العربية ومولوى أمام بخشى صهبائى أستاذ الفارسية ومولوى نذير أحمد[١]، وضمت الكلية فيما بعد چندر رام كشن وپيارے لال ومولانا شهامت على والدكتور مكندلال ومحمد حسين آزاد ومولوى ذكاء الملك والذين تربوا فى كنف هذه الكلية وفى سنة ١٨٣٥م، قام الحاكم البريطانى وليم بينتنج بناء على اقتراح اللورد ميكالى بفرض التعليم الجديد وقال فى الاقتراح «إن الهدف الأصلى من التعليم الجديد هو نشر العلوم الإنجليزية لأن العلوم الشرقية عقيمة وبلا فائدة فضلا عن أن التعليم الإنجليزى يخدم مصالح الحكومة» وقام مسلمو كلكتا بالاحتجاج على هذا القرار وأعدوا مذكرة يتهمون فيها الحكومة بمحاولة عرقلة التعليم الشرقى والعلوم الإسلامية خاصة وإغلاق مدارسها وتوجيه اهتمامهم تجاه التعليم الإنجليزى، والهدف من ذلك هو تحويل المسلمين إلى الديانة المسيحية فى حين اعتبر الهندوس هذا القرار مفيدا لهم، وظل المسلمون على حالتهم من الجمود حتى كانت ثورة ١٨٥٧ م[٢]، وبعد الثورة أُغلقت كلية دهلى وألغى الإنجليز اللغة الفارسية لغة المسلمين كلغة رسمية لأنها فى نظرهم لغة الحكومة الإسلامية ورمز للامبراطور المغولى ولما كان من الصعب إحلال اللغة الإنجليزية محلها فورا لهذا اقروا اللغة الأردية بديلاً للفارسية بصورة مؤقتة وقام الإنجليز كعادتهم بتشجيع اللغة الهندية لتقف نداً للغة الأردية واشاعة الفرقة بين أهل البلاد، ومن ناحية أخرى بدأوا فى نشر اللغة الإنجليزية تدريجيًا حتى احتلت الثقافة الإنجليزية مكانة الثقافة الفارسية ومن هنا بدأ الصراع بين الثقافة الغربية والثقافة الشرقية وفرض هذا الصراع أسلحة معينة تتمثل فى اللغة بمفاهيمها الجديدة ودلالتها الحديثة ومصطلحاتها الوليدة ورغم أن كلية دهلى بدأت الإعداد لأسلحة هذا الصراع الفكرى إلا أن الاعداد الفعلى[٣] كان متمثلا فى الجانب الثقافى والفكرى من حركة على گرھ.

ومنذ ذلك الوقت بدأ الصراع بين الأفكار القديمة والجديدة من خلال أنصارهما

---

(١) عبد القيوم: المرجع السابق: ص ٢١.

(٢) عبد الحق: مرحوم دهلى كالج ص ٧.

(٣) عبد الحق: مرحوم دهلى كالج ص ١٠.

وبدأت نظريات الغرب تتسلل إلى المجتمع الهندي عن طريق دعاة التجديد من أمثال السير سيد وحركة على گرط هـ وحاول الغب من فيض الغرب ونقل علومهم، ودعا إلى تعلم اللغة الإنجليزية لمسايرة الوضع الجديد والتكيف مع الظروف الراهنة ويرى أن ذلك أنجح طريقة لنهضة المسلمين وعدم تأخرهم عن باقى القوميات الهندية وخاصة الهندوس، وحتى لا يتأخروا عن ركب الحضارة الحديثة. وقد أحس المسلمين بالخطر المشترك تجاه الإنجليز والهنود نتيجة تأثير التعليم الجديد وازدادت شجاعتهم فى مقابلة الأحداث عن طريق تعاونهم مع الإنجليز وكان منهج هذه الحركة فى التعامل مع الإنجليز يؤكد – فى الظاهر – أنهم لا يعادون الإنجليز وكان أسلوب تفكيرهم فى هذه الحقبة ليس شاذًا أو غير طبيعى لأن المسلمين واصلوا حربهم للتحرير لقرنين ونصف ولاقوا الفشل المتواصل وتدهورت أحوالهم السياسية والاقتصادية لذا يرى أصحاب هذه الحركة أن تعاملهم مع الإنجليز كان ضرورة واجبة(١)، وظهر اتجاه سلفى محافظ نادى بالرجوع إلى تعاليم الإسلام والعلوم الدينية حتى لا ينصهر المسلمون فى خضم هذه النظريات الغربية. وقرروا علانية إحياء عاطفة الإسلام بكافة المحاولات الممكنة وبدأوا حركتهم الواسعة من أجل ايجاد الصلة بين حضارة المسلمين ونظرية حياتهم وتكونت «حركة ديوبند» لتنفيذ هذه الإصلاحات وبدأوا فى إنشاء المدارس والكتاتيب فى أنحاء الهند بالجهود الذاتية وكانت مدرسة ديوبند هي قلعتهم الايدلوجية وزعيم هذه الحركة مولانا محمد قاسم نانوتوى وبدأ أنصار حركة ديوبند عن طريق إداراتها المنتشرة فى أرجاء الهند بتوجيه اهتمامهم بدراسة تاريخهم وحضارتهم ومُثلهم العظيمة حتى يبنوا مستقبلهم على ضوئها.

وظهرت حركة توفيقية ثالثة مزجت بين القديم والحديث فى محاولة لايجاد التوفيق بين حركتى على گرط هـ وديوبند وقد قامت ندوة العلماء بهذا الاتجاه التوفيقى وعلى رأسها العلامة شبلى النعمانى الذى قال عند تأسيسها «إن نهضة الشعوب الاخرى هى أن تتقدم إلى الأمام أما نهضتنا فهى أن نعود إلى الوراء حتى ننضم إلى عصر النبوة».

وقد قررت ندوة العلماء تحصيل النظريات الجديدة بجانب العلوم القديمة بالقدر الذى لا يضر المسلمين ويبعدهم عن دينهم ومن الضرورى التوفيق بين العلوم القديمة والعلوم

---

(١) معين الدين عقيل: تحريک آزادى مىں ارد وكاحصه ص ٢٨٦.

الحديثة أى بين التعليم الدينى والدنيوى(١).

ويرى شبلى النعمانى مؤسس ندوة العلماء أن مهمة ندوة العلماء هى تخريج العلماء الذين يستعليعون أن يبلغوا الكمال في أى فن من الفنون(٢).

وقد انعكس هذا الصراع الفكرى على الأدب والشعر، وكان بداية لخروج الأدب عن جموده، وتطور النثر الأردى وتنوع أساليبه وكانت اللغة الفارسية هى اللغة الأدبية وقد بدأت تنحسر شيئًا فشيء ولا يوجد أدب فى اللغة الأردية جدير بالذكر سوى دواوين شعراء الغزل وعدة كتب نثرية ولم يكن للنثر الأردى المقدرة والصلاحية على تقديم وعرض المسائل العلمية، والشعر الأردى ملئ بالعيوب ولا يستطيع أن يفيد المجتمع، فكان ينبغى إعداد لغة لتحل محل الفارسية وينشأ أدب جديد يصور لهم عظمة الماضى وانحطاط الحاضر ويرتب أصول جديدة لنقد الشعر، وأن يروج نثر جديد لبيان الأحداث والوقائع اليومية بلغة سهلة سلسة لا من أجل عرض قوة الأسلوب بلغة صعبة، وقد قام بهذه المهمة أدباء وشعراء كبار مثل شبلى النعمانى ونذير أحمد والسير سيد ومحمد حسين آزاد والطاف حسين حالى وكان للأخيرين دور بارز فى حركة الشعر الجديد ونجحت اللغة الأردية فى ذلك العصر فى إثبات ذاتها كلغة قادره على تناول قضايا الأدب المتشعبة.

---

(١) شبلى النعمانى: مقالات شبلى، مجلس ترقى أدب، لاهور، ١٩٦٥. جـ٣ ص ١٣٨ – ١٤٠.

(٢) شبلى النعمانى: باقيات شبلى – مجلس ترقى أدب، لاهور، ١٩٦٦، ص ١٠١.

١ - حركة ديوبند ١٨٦٦م والاتجاه السلفى القديم

بعد فشل ثورة ١٨٥٧ لم تخمد عواطف العلماء المجاهدين المستمدة من الحركة السياسية والفكرية لشاه ولى الله وأسرته من بعده وقد كان لجهود شاه عبد العزيز وجماعة المجاهدين فى ثورة التحرير دور بارز ومنهم حاجى إمداد الله ومولانا محمد قاسم نانوتوى ومولانا رشيد أحمد كنگوهى وغيرهم وبعد فشل الثورة انقسم هؤلاء العلماء إلى فريقين: الفريق الأول آثر الهجرة إلى الحجاز برفقة حاجى إمداد الله والفريق الثانى قام بافتتاح مدرسة إسلامية فى ديوبند عام ١٨٦٦م على غرار مدرسة شاه عبد العزيز فى دهلى والتى أغلقت فى أحداث الثورة وبدأوا عن طريق هذه المدرسة فى نشر أفكارهم الدينية والتعليمية وكان هذا الفريق بزعامة مولانا محمد قاسم نانوتوى(*)(١).

وافتتحت هذه المدرسة فى مسجد صغير بقرية ديوبند إحدى قرى محافظة سهارنبور فى عام ١٢٨٣هـ/ ١٨٦٧ على يد الحاج محمد عابد أحد اتقياء المدينة ثم استلمها مولانا محمد قاسم نانوتوى الذى كرس جهوده لتصبح هذه المدرسة مركزا دينيا ومرجعا روحيا للمسلمين فى جميع الهند وكان من بين علمائها محمود الحسن الديوبندى والمفتى عزيز الرحمن والشيخ حسين أحمد مدنى(٢).

وقد قام هؤلاء العلماء بإنشاء المدارس والمعاهد المختلفة على غرار مدرسة ديوبند لكى يحافظوا على ثقافتهم الإسلامية وعلى علومهم الدينية فى وجه الفكر الغربى حتى يحافظوا على كيانهم من الإنحلال والذوبان بفعل الأفكار الغربية الملحدة وقرروا الجهاد فى ميدان العلم ونشر العلوم الإسلامية وقد قامت هذه المدارس على الجهود الذاتية من

(*) ولد فى قرية «نانوتا» فى سهارتبور عام ١٢٤٨ هـ/ ١٨٣٢م ودرس فى مدارس دهلى الدينية واشترك فى الثورة وعمره ٢٥ سنة وكان قائداً عاماً للجيش الذى أعده العلماء وانتصر فى بعض المواقع والقى السلاح بعد سقوط دهلى حتى لا يبطش به الإنجليز واختفى ليظهر ويؤسس هذه المدرسة وتوفى عام ١٢٩٧ هـ/ ١٨٧٩م ودفن فى ديوبند وله مؤلفات كثيرة. (تاريخ الإسلام فى الهند ص ٣٧).

(١) معين الدين عقيل: تحريک آزادى ميں اردو كاحصه. ص ٣٢٠ - ٣٢١.
وعبيد الله سند هى: شاه ولى الله اورانكے سياسى تحريک. ص ١٠٥.

(٢) عبد الحليم الندوى: مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية فى الهند. ص ١.

المسلمين حتى لا تقع تحت تأثير أى سلطان أو حاكم حتى تستمر فى أداء واجبها بصمود خاصة وأن الحكومة الإنجليزية كانت تحارب هذه المدارس عن طريق الاستيلاء على أوقافها فى حين أنها كانت تساعد المبشرين بقوة وتكثر من فتح المدارس الحديثة. وكانت مدرسة ديوبند أول معهد تعليمى يكونه رد فعل على محور التبشير والتغريب ومكافحة التيار الغربى ويخرّجون منها دعاة الإسلام والوعّاظ وعلماء الدين(١).

وقد بدأت الدراسة فى مدرسة ديوبند فى مسجد صغير لازال قائمًا للآن يسمى «مسجد تشى» بطالب واحد هو «محمود الحسن» وأستاذ واحد هو «ملاقارى محمود» فى المحرم سنة ١٢٨٣ هـ/ ١٨٦٧م وتحت إشراف العارف بالله مولانا رشيد أحمد(*) الكنكوهى(٢).

وقد قام بالتدريس فى هذه المدرسة محمد قاسم نانوتوى ومولانا رشيد أحمد كنكوهى ومولانا ذو الفقار على ومولوى فضل الرحمن وجعل مولانا نانوتوى لهذه المدرسة نُظم أساسية ومنهج عمل وقرر المقررات الدراسية والمناهج لسبع سنوات وكانت القاعدة الأساسية لمن جاء بعده فى إدخال التطورات عليها، وبجهود مولانا نانوتوى أقيمت فروع عديدة لمدرسة ديوبند وعلى غرارها فى مراد آباد وسهارنپور وكان مولانا مظهر نانوتوى مديراً لمدرسة مظهر العلوم التى أقيمت فى سهارنپور وتعددت هذه الفروع حتى وصلت الأربعين وكان من المبادئ الأساسية التى قامت عليها مدرسة ديوبند هو الاستفادة من حزب شاه ولى الله وفيض علمه وتقوم المدرسة بإعداد العلماء بحيث يكون لديهم الرغبة والاستعداد التام للعمل فى المساجد والمدارس، وبعد وفاة مولانا محمد قاسم نانوتوى تولى رشيد أحمد كنكوهى مهمة الإشراف على مدرسة ديوبند والذى بوفاته عام ١٣٢٣ هـ انتهت المرحلة الأولى فى تاريخ هذه المدرسة والذى امتد أربعين سنة

---

(١) محمد على ضناوى: كبرى الحركات الإسلامية فى العصر الحديث. ص ١٠٦ - ١٠٧.

* ولد فى قرية كنكوه «فى سهارنپور عام ١٢٤٤ هـ/ ١٨٢٨ م ودرس فى مدارس دهلى الدينية وأخذ الطريقة الصوفية عن مولانا إمداد الله ثم اشترك فى الثورة وسجن ستة أشهر ثم خرج ليشارك فى تاسيس هذه المدرسة وتوفى عام ١٣٢٣هـ/ ١٩٠٥م ودفن فى كنكوه وله عده مؤلفات. (تاريخ الإسلام فى الهند - ص ٣٨). وقد اشترك محمد قاسم نانوتوى ورشيد أحمد كنكوهى فى فصائل الثورة وكان لهم نصيب بارز فيها ولا يوجد أى تفصيلات عن ذلك حتى اليوم لان معرفة هذه التفصيلات صعبة للغاية (غلام رسول مهر: اثهاره سو ستاون كے مجاهد ص ٢٥٠).

(٢) عبد المنعم النمر: تاريخ الإسلام فى الهند. ص ٣٨. ومحمد إكرام: موج كوثر. ص ٢٠٦.

حافظت فيها على مركزها الفكرى ونشر الحركة العلمية التى تجاوزت حدود الهند إلى أفغانستان وتركستان والحجاز حتى وصلت إلى القوقاز، ومن الطلبة الذين تعلموا فى هذه المدرسة وكانت لهم شهرة عظيمة مولانا محمود الحسن، مولانا حسين أحمد مدنى، مولانا ثناء الله أمر تسرى، مولانا أشرف على تهانوى ومولانا عبد الحق حقانى، مولانا سيد أنور شاه كشميرى، مولانا عبيد الله سندهى وغيرهم(١).

ثم تولى مهمة الإشراف على المرحلة الثانية من تاريخ هذه المدرسة مولانا محمود الحسن وكانت المرحلة الأولى بالنسبة للعمل السياسى وكان محمود الحسن أول طالب فى مدرسة ديوبند والتلميذ العزيز لدى مولانا محمد قاسم وقد تولى التدريس فى عام ١٩٠٥ بعد أن أنهى دراسته وورث عن أستاذه عاطفة حب الوطن وقد تيسر له ذلك بصورة عملية، وكون تلاميذه جماعة «جمعية الأنصار» وكان مديرها مولانا عبيد الله سندهى وكان أول جلسة لها فى ١٥ أبريل ١٩١١م وقد أدى قيام هذه الجمعية إلى زيادة الصراع بين على گرط هـ وديوبند، وقد اشترك فى هذه الجلسة صاحبزاده آفتاب أحمد خان واتفق مع كلية على گرط هـ على أن الطلبة الذين يدرسون الإنجليزية يجب أن يتعلموا العلوم الدينية فى ديوبند وطلبه ديوبند يتعلمون العلوم الغربية فى كلية على گرط هـ وبعد ذلك استمر دور ديوبند وعلمائها بارزا فى الهند وخارجها حيث اشترك مولانا محمود الحسن وأيد الحركات التحررية فى العالم الإسلامى مثل الجزيرة العربية وتركيا ومصر للتخلص من الاستعمار البريطانى حتى قبض عليه وظل معتقلاً مع بعض زملائه فى مالطا حتى عام ١٩٢٠م. وفى المرحلة الثالثة لحركة ديوبند انضمت إلى حركة التحرير وساهمت عمليا فى صياغة نظرية باكستان والرابطة الإسلامية وكان من أبرز علمائها فى هذه المرحلة مولانا أشرف على تهانوى(٢).

وقامت مدرسة ديوبند بتعليم الطب والهندسة والتاريخ إلى جانب العلوم الدينية والعربى والفارسى وقد قام الطلبة الذين تخرجوا من هذه المدرسة بنشر الثقافة الإسلامية فى ربوع الهند ونشر المبادئ الإسلامية الصحيحة وحاربوا(٣) البدع.

---

(١) معين الدين عقيل. تحريک آزادى ميں اردوكا حصه. ص ٣٢٠ - ٣٢١.
- عبيد الله سندهى: شاه ولى الله اوران كے سياسى تحريک. ص ١٥١.
- محمد إكرام. موج كوثر. ص ٢٠٧.

(٢) معين الدين عقيل: المرجع السابق. ص ٣٢١ - ٣٢٩.

(٣) محمد إكرام: موج كوثر. ص ٢٠٨.

٢ - كلية على گرط هـ والاتجاه العقلى الحديث

كان نشر التعليم الجديد من أهم المسائل فى رأى السير سيد فبالتعليم الجديد يستطيع المسلمون أن يشاركوا فى أعمال الحكومة ويكونوا مؤهلين للوظائف والمناصب الحكومية ويثرى هذا التعليم عقولهم فيصبحون متفتحى الفكر ونموذجا يحتذى به للأجيال القادمة، وعندما ينشب أى صراع اقتصادى أو حضارى بين أقوام الهند المختلفة يستطيعون أن يظفروا بنصيب وافر من المكاسب الحضارية فتعلو مكانتهم ويتقدمون فى مختلف مجالات الحياة الأخرى بدلاً من أن يقتصروا على وظائف الخدمة للأقوام الأخرى(١).

وبناءً على هذا الرأى ونتيجة رؤيته لأوضاع المسلمين المتردية عاد وقبل اقتراح اللورد ميكالى - الذى رفضه من قبل - لتعليم المسلمين العلوم الغربية الجديدة والتى قبلها الهندوس وأقبلوا عليها وتقدموا فيها بمراحل عن المسلمين وعندما سافر السير سيد إلى إنجلترا عام ١٨٦٩م وزار الجامعات والمعاهد الإنجليزية وأطلع على التقدم العلمى والحضارى هناك نشأت عنده الرغبة الشديدة وازداد حماسة لإدخال التعليم الجديد فى مدارس المسلمين، وعندما عاد من إنجلترا سنة ١٨٧٠م بدأفى تنفيذ خططه التعليمية فأسس جمعية راغبى تقدم مسلمى الهند « كميتى خواستگاران ترقى تعليم مسلمان هند » من أجل وضع الخطط التعليمية للمسلمين وقد قررت هذه اللجنة أن تفتح إحدى الكليات ليحصل المسلمون فيها التعليم العالى لذا تكونت اللجنة المالية للكلية الإسلامية « محمدط ن كالج فندط كميتى » وقابلت الحكومة الإنجليزية هذا الاقتراح بالقبول وساعدتهم علي إنشاء هذه الكلية وتبرع اللورد نارتهبروك حاكم الهند بعشرة آلاف روبية لهذه الكلية وفى فبراير ١٨٧٣ أسسوا مدرسة العلوم بعلى گرط هـ وساهم فى إنشائها بجهد كبير كل من سيد محمود وسميع الله خان الذى تولى إدارة هذه المدرسة التى قامت بدور بارز فى تعليم المسلمين العلوم الجديدة، وكان السير سيد فى بنارس فى ذلك الوقت وقام السير وليم ميور بافتتاحها فى ٢٤ مايو ١٨٧٥، والذى يوافق ذكرى الاحتفال بيوم الملكة فيكتوريا وجاء فى ذلك اليوم السير سيد من بنارس وظل

---

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى. صـ ٤١.

مرتبطا بعلى گرھ حتى وفاته عام ١٨٩٨م، وبعد تطوير هذه المدرسة قام اللود لتن بافتتاح كلية على گرھ فى يناير ١٨٧٧م، وتطورت الكلية يوما بعد يوم وأحضر السير سيد لها أساتذة أوربيين للتدريس بها مثل البروفسير T. W. Arnold أستاذ الفلسفة ومدرس اللغة الإنجليزية البروفسير والى والذى اشتهر فيما بعد بالسير والنزراى وهو من أشهر نقاذ الأدب الإنجليزى والسير تيودور ماريس ومستر أرجيبيلد وغيرهم من الأساتذة الذين ساهموا فى تقدم هذه الكلية(١). وكانت هذه الكلية مركزا لأفكار السير سيد وخططه الإصلاحية وارتبطت بنشر العلوم الجديدة وقد ساند كثير من المتنورين فى ازدهار ونشر حركة التعليم الجديد مثل محسن الملك الذى قال فى إحدى خطبه «إن لم نأخذ بتطبيق بعض الأعمال الإصلاحية فأننا سنظل نسير إلى الوراء، فقد أصبحت شهرة جهلنا ممتدة من الهند حتى بريطانيا وصرنا مضربًا للأمثال بكراهية التعليم»(٢)، وألطاف حسين حالى ووقار الملك وسميع الله ومولوى نذير أحمد ومولوى جراغ على وذكاء الملك ونواب عماد الملك وعبد الحليم شرر وغيرهم فى المرحلة الأولى، ونواب صدريا رجنگ ودكتور ضياء الدين وحبيب الله خان ومولوى عبد الحق وغيرهم فى المرحلة الثانية وخواجه غلام السيدين ورشيد أحمد صديقى ودكتور عابد حسين ودكتور ذاكر حسين وغيرهم فى المرحلة الثالثة وقد ساهم هؤلاء بأفكارهم وجهودهم فى ازدهار هذه الكلية(٣). وفى سنة ١٨٨٦م أسس السير سيد جمعية مؤتمر التعليم الإسلامى «محمدط ن ايجو كيشنل» والذى تغير اسمه فيما بعد إلى «محمدط ن ايجو كيشنل كانگريس» وهو عبارة عن إدارة مركزية مؤثرة هدفها البحث فى كيفية نشر التعليم الجديد بين المسلمين، وقد أثبت هذا المؤتمر أنه أكثر فائدة فى عدة جوانب من كلية على گرھ فى إحداث يقظة المسلمين وقد نجح هذا المؤتمر وتعلم المسلمون عن طريقه العلوم الجديدة والنظريات الحديثة وظهرت لديهم ميول ونزعات سياسية جديدة، وقد وضح السير سيد فى هذا المؤتمر حالة المسلمين الحاضرة وقارن فيه بين التعليم القديم والجديد وأكد على ضرورة التكتل من أجل القضايا القومية والدينية وكان هذا المؤتمر يعقد كل عام مرة فى مدينة من مدن الهند ويجتمع فيه وجهاء المسلمين لطرح مشاكلهم وتقديم الحلول المناسبة لها، واهتم بإنشاء الكليات الجديدة على غرار كلية على گرھ ويرجع إليه

---

(١) محمد اكرام: موج كوثر. صـ ٨٨، حالى: حيات جاويد صـ ٨٨ - ٨٩.

(٢) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر مگارى. صـ ٣٠.

(٣) معين الدين عقيل: تحريگ ازادى مين اردوكا حصه. صـ ٢٩١.

الفضل فى إقبال المسلمين على التعليم الجديد بعد أن قاطعوا الكليات التى أنشأها الإنجليز[١].

وقام السير سيد فى سبيل نشر التعليم الغربى وخططه التعليمية بإصدار جريدة سكان الهند «باشندگان هند» وأقام «المجتمع العلمى» لترجمة العلوم الغربية إلى اللغة الأردية، وكان السير سيد يريد أن يقيم جامعة تكون مشعل هداية للمسلمين وتدرس فيها العلوم الغربية والإسلامية فأقام الكلية الشرقية الأنجلو إسلامية «محمدط ن اينگلواورينطل كالج» وقد قامت هذه الكلية بدور بارز فى مساندة القومية الإسلامية الهندية وقد تهيأ المسلمون فى هذه الفترة إلى الجهد المنظم ونشأت العديد من الإدارات التعليمية فى مختلف مدن الهند تحت تأثير حركة السير سيد[٢] ومنها الكلية الشرقية بلاهور «أورينتل كالج لاهور» من أجل نشر أهداف جمعية البنجاب «انجمن پنجاب» العلمية وكان من أهدافها إحياء بعض العلوم الشرقية القديمة ونشر العلوم المفيدة بين سكان الهند عن طريق اللغات المحلية والتباحث فى المشكلات الأدبية والاجتماعية وكان الدكتور لايتنر مرشد هذه الجمعية فأراد أن يقيم جامعة تمتزج فيها العلوم القديمة والجديدة وتسمو بالجوانب الخلقية والعقلية للهنود فبدأ بإنشاء مدرسة العلوم الشرقية عام ١٨٦٥م والتى أصبحت الكلية الشرقية فى لاهور عام ١٨٧٢، وقامت هذه الكلية بتنفيذ أهداف جمعية البنجاب.

ومن هذه الإدارات التى نشأت بتأثير من حركة على گرط هـ التعليمية جمعية حماية الإسلام «أنجمن حمايت إسلام» بلاهور وأسسها قاضى حميد الدين ومولوى غلام الله قصورى عام ١٨٨٤م، وكان هدف هذه الجمعية تعليم الأولاد والبنات العلوم الدينية بالإضافة إلى العلوم العامة ونشر الإسلام والدفاع عنه عن طريق الندوات والمطبوعات التى كانت تصدر عن هذه الجمعية، ومن أجل نشر أهدافها أصدرت فى البداية مجلة «أنجمن حمايت إسلام» وقامت بتصنيف عدة كتب دراسية وكانت الجمعية تقيم كل عام مؤتمرا تدعو فيه علماء المسلمين لبحث الموضوعات الدينية ويلقى فيها الشعراء قصائدهم القومية والدينية وسرعان ما قامت فروع عديدة لها فى مختلف مدن الهند عن طريق اهتمام هذه الجمعية بإقامة المدارس والكليات المختلفة[٣]. وقد نظم حالى قصيدة

---

(١) معين الدين عقيل: تحريگ آزادى مين اردوكا حصة. صـ ٧٧٤.

(٢) معين الدين عقيل: المرجع السابق. صـ ٧٥٣.

(٣) معين الدين عقيل: المرجع السابق. صـ ٧٥٧.

للتنويه بأهداف وأعمال جمعية حماية الإسلام فى لاهور وذلك فى إبريل ١٩٠٤م، فى الجلسة السنوية للجمعية فى لاهور وقد اشترك فى هذه الجلسة محمد إقبال وألقى قصيدة وقد أعجب بها حالى[١]. وكانت هذه الجمعية تؤيد حركة على گرط هـ فى مجال السياسة والتعليم وتخالفها فى آرائها الدينية ولذلك أقبل عليها الكثير من العلماء والمفكرين وانضموا إلى عضويتها.

وبعد وفاة السير سيد فى ٢٧ مارس ١٨٩٨م تولى إدارة كلية گرط هـ مولوى محسن الملك ونواب مهدى على خان وتطورت هذه الكلية حتى تحولت إلى جامعة عريقة يأتى إليها طلاب العلم من مختلف أنحاء شبه القارة الهندية وخارجها.

أثر حركة على گرط هـ على الأدب الأردى

أ - أولاً: النثر:

أحدثت حركة على گرط هـ انقلابًا عظيمًا فى الأدب الأردى وألقت هذه الحركة بظلالها على فنون الأدب الأردى المختلفة، وكان النثر عرضة لهذه التأثيرات لأن لغته أكثر قربا من رجل الشارع من ناحية وأكثر سهولة وبساطة من لغة الشعر التى تحتاج جهداً مضاعفًا من الشاعر وقد يضطر إلى استعمال الكلمات الصعبة والبعيدة عن ذهن العامة من أجل المحافظة على صناعة شعره والخروج به بصورة ترضى المتلقى بالإضافة إلى أن لغة النثر ملائمة لصياغة الأفكار الإصلاحية، وهذا مادعا السير سيد إلى إصدار جريدة «تهذيب الأخلاق» ونشر أفكاره بلغة سهلة سلسة قريبة من تفكير الرجل العادى.

وكان السير سيد يكره التكلف فى النثر الأردى ولا يعتبر أن الجناس والسجع واللعب بالألفاظ من محاسن النثر، وقد كانت الزينة اللفظية من أهم سمات النثر قبل حركة على گرط هـ بغض النظر عن تقديم الفكرة كما يتضح ذلك فى عبارات «فسانة عجائب» المليئة بالتصنع والتكلف والسجع، ومؤلفات صهبائى تعتبر نموذجا لهذا العصر وشاهداً لما وصل إليه تدهور النثر الأردى وبعده عن السلاسة والوضوح، وحتى الطبعة الأولى من كتاب «آثار الصناديد» للسير سيد مليئة بالتكلف[٢] الذى كان لغة النثر فى عصره ولكن السير سيد تدارك ذلك وأعاد كتابته بلغة سهلة تتناسب مع ما يدعو إليه من تخليص النثر من هذه الطلاسم والعيوب، حتى راجت بفعل حركته طريقة جديدة فى

---

(١) حالى، كليات نظم حالى جـ ٢ - صـ ٢٧٩ - ٢٨٠.

(٢) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى صـ ٥٨.

الكتابة تؤدى المعنى للقارىء فى سهولة ويسر وقد ساعده فى حركته هذه كل من شبلى النعمانى وحالى فقضوا على النثر المسجع والمقفى وأصبح النثر يتميز بالسلاسة والوضوح والبساطة ويتضح ذلك فى مؤلفات حالى النثرية مثل « حيات جاويد » و « يا دگار غالب » و « حيات سعدى » وغيرها وسنتعرض لها فى الصفحات القادمة.

وبفضل حركة على گرط هـ الأدبية استحدثت بعض الفنون الأدبية فى النثر الأردى ولم يكن لها وجود من قبل مثل المقال وقد ازدهر هذا الفن بفعل مجلة « تهذيب الأخلاق » والمجلات المعارضة لها، وتطورت القصة الأردية بفعل قصص نذير أحمد الذى يعتبر رائداً فى هذا المجال كما تطورت الرواية أيضًا والمسرحية النثرية، وازدهر فن التراجم والسيرة الذاتية وكان من قبل عبارة عن المدائح وذكر مناقب صاحب السيرة الذاتية ويعتبر ألطاف حسين حالى من رواد هذا الفن هو شبلى النعمانى الذى برع فى كتابة التاريخ(*)، كما ظهرت قواعد جديدة للنقد الأدبى وكتب ألطاف حسين حالى أول كتاب محدد فى نقد الشعر وهو « مقدمة شعر وشاعرى » كما ازدهرت اللغة الأردية فى ذلك العصر وبدأت تنتشر فى أنحاد الهند واحتلت مكانة اللغة الفارسية ثقافيا وأدبيا وعلميًا وبدأ تأثير اللغة الإنجليزية على النثر الأردى فى استعمال مفرداتها يكثر فى كتابات أدباء هذا العصر وعلى رأسهم السيد سيد ورفاقه وكانت بداية كتابه الموضوعات العلمية فى النثر الأردى. ويقول الشيخ محمد إكرام: يوجد فى الهند الآن كُتّاب عظام فى النثر الأردى يملكون أسلوبًا خاصًا ويتميزون به، ولا يوجد أحد منهم لم يتأثر من قريب أو بعيد بأسلوب السير سيد، ويدعى البعض منهم أنه اخترع طريقة جديدة فى الكتابة تختلف عن باقى الكتاب ولكنه مع ذلك يبقى متأثرًا بأسلوب السير سيد »(١).

ب - ثانيًا: الشعر:

امتد تأثير حركة على گرط هـ إلى الشعر أيضًا وكان الشعر يتميز فى هذه الحقبة بالغموض والإغراق فى الخيال والمبالغة واقتصر الغزل أشهر فنون الشعر الأردى على الغزل الحسى وابتعد الشعر عن الواقع وتقيد بالصنعة اللفظية على حساب الفكرة وتبارى الشعراء فى تعقيد الشعر بقضايا فلسفية عقيمة وتخير الأوزان الصعبة والرديف النادر

(*) ترك لنا شبلى النعمانى العديد من الكتب التاريخية مثل: سيرت النبى، سيرت النعمان سوانح مولانا روم، الفاروق، المامون، الغزالى.

(١) محمد إكرام: موج كوثر. صـ ١٤١.

وكان غاية الشاعر الأردى المنشودة زخرفة أشعاره بكلمات فارسية ونظم الشعر تقليداً لشعراء إيران الكبار، ولم يتطرق الشعر إلى موضوعات تتعلق بالمجتمع والحياة العامة فضلا عن تصويره المناظر الطبيعية التى يطلق فيها الشاعر العنان لخياله فيقوده إلى مكنونها.

وهنا ثار السير أحمد خان وأعلن أن تطور الشعر لا يكون باستعمال الأفكار الغامضة والإغراق فى المبالغة وقد وقف السير سيد على حقيقة الأدب وخاصة الشعر وكان يعرف ما هو الدور الذى يستطيع أن يؤديه هذا الساحر بالنسبة لإصلاح المجتمع لذلك أراد أن يخرج الأدب من نطاق الخواص ويصطبغ بالطابع الشعبى لذلك طلب من حالى لسانه الشعرى أنه «من المفيد لو وضحت بالشعر حالة الضعف الراهنة للمسلمين»(١) فقام حالى بنظم المسدس وصور فيه أحوال المسلمين فى الماضى والحاضر وكان أول من نظم الشعر فى مهمة إصلاحية وترجم أفكار السير سيد شعراً وكتب حالى فى مقدمة المسدسى عن حالة الشعر فى عصره فيقول: إن أهل الذوق فى بلدنا لا يفضلون هذا النوع من النظم الجاف البسيط لأن فيه ترجمة للوقائع التاريخية وبعض الآيات والأحاديث ويصور حالة القوم الراهنة تصويراً صحيحاً ليس فيه دقة الخيال ولا تنوع الأسلوب ولإعادة المبالغة والتكلف.. ولم أنظم هذا الشعر من أجل التلذذ والاستحسان لكن من أجل أن يثير فى الناس نار الحمية والغيرة»(٢)، ويبدو من عبارة حالى الأخيرة مهمة الشعر الجديدة فهى من أجل الإصلاح وخدمة المجتمع وليست للتسلية والاستحسان والتفكه والتفنن فى استعمال اللغة الشعرية وبهذا يتضح فهم حالى للمهمة التى أوكلت إليه وبداية لتأثر الشعر الأردى بالنظريات الغربية الجديدة فى الشعر وخاصة «نظرية الفن للمجتمع» التى قامت على أنقاض «نظرية الفن للفن» وبهذا يكون حالى قد أحدث تغيراً هاماً فى الشعر الأردى من ناحية المضمون تأثرا بفيض حركة على گرط هـ التعليمية. وكان السير سيد قد اطلع على الشعر الإنجليزى وتأثر بأعمال استيل وايديسن وبأفكار ملتن وشيكسبير فأراد أن يرى الشعر الأردى وقد أصبح أداة لإصلاح المجتمع والحياة الأخلاقية والاجتماعية ويرى أن ذلك لن يتحقق إلا بالصدق والإخلاص وساهمت آراء السير سيد فى تطوير فن الشعر وحدد طريقة تطور الأدب من حيث صدق العواصف والطبيعية فى النظم والموضوعات المؤثرة البسيطة والأسلوب القريب من

---

(١) حالى، ترجمة حالى (كليات نثر حالى. جـ ١) صـ ٣٤٠.

(٢) حالى: مسدس حالى. صـ ٥.

الحقيقة والواقعية[١] - وهذه شروط الشعر الجيد كما حددها ملتن - وتأثر بها السير سيد فأوحى بها إلى حالى الذى أقام عليها نظريته فى نقد الشعر كما سنرى عند تحليلنا لكتاب «مقدمة شعر وشاعرى» وكانت هذه المقترحات قريبة من ذهن حالى لذلك تأثر بسرعة فائقة بأفكار السير سيد وأنس بها وحاول التجديد فى الشعر وكانت البداية فى لاهور حين «حقق محمد حسين آزاد رغبته القديمة عام ١٨٧٤ بإقامة ندوات شعرية جديدة من نوعها بالنسبة للهند بإيعاز من كرنيل هالراید مدير عام التعليم بالپنجاب وفيها يختار الشعراء أى موضوع ينظمون حوله الشعر بدلا من تحديد مصرع من بيت يلتزم الشاعر قافيته ووزنه فى شعره[٢]» ثم يقول حالى: وقد نظمت فى هذه الندوات أربعة مثنويات الأولى فى موسم المطر «برسات» والثانية فى الأمل «اميد» والثالثة فى العدل «أنصاف» والقصيدة الرابعة فى حب الوطن «حب وطن»، وهذه القصائد فى غاية الرقة والجمال والجاذبية وخاصة قصيدة حب الوطن التى لا مثيل لها ولم ينظم أحد شعراً مؤثراً فى هذا الموضوع ومليئًا بالإخلاص قبل حالى[٣].

وبالفعل بدأت أول مشاعرة «ندوة شعرية» عن موسم المطر (برکهاتُ) فى ٨ مايو ١٨٧٤ واشترك فيها مع حالى تسعة شعراء هم أنور حسين هما، أشرف بيگ أشرف، الهى بخش رفيق، محمد حسين آزاد، محمد مقرب على، ولى دهلوى، قادر بخش، عطاء الله، علاء الدين محمد[٤]. وقد لاقت هذه الأشعار معارضة من الناس فى البداية ولكن فى خلال أربع عشرة سنة أصبحت مؤثرة بحيث يسمع صداها فى مدن الهند المشهورة[٥]. وقد استمرت هذه الندوات أحد عشر شهراً وكانت تعقد مرة كل شهر فى مقر الجمعية «انجمن پنجاب» وكان الهدف من هذه الندوات توسيع مجال الشعر الأسيوى الذى كان أسيراً للمبالغة والكذب والعشق بقدر الإمكان ويقيموا أساسه على الحقائق والأحداث الحقيقية[٦]. وتعتبر هذه الندوات الشعرية بداية الشعر الأردى الجديد من حيث الموضوعات والأساليب والدعوة إلى الواقعية وتجنب المبالغة والتكلف

---

(١) عبد القيوم: حالى كى ارد ونثر نگارى صـ ٥٣.

(٢) حالى: ترجمة حالى صـ ٣٤٠.

(٣) صالحة عابد حسين: يادگار حالى صـ ٤٠.

(٤) غلام مصطفى خان: حالى كاذهنى ارتقا صـ ٣٤.

(٥) محمد إكرام سانبوى: حالى واكبر كا خصوصى مطالعة صـ ٦.

(٦) حالى: مقدمة مجموعة نظم حالى. ضمن كليات نظم حالى جـ ١، صـ ٥١.

والتصنع مع الالتزام بالبساطة والواقعية[1]. وبدأت نهضة شعرية امتد أثرها فى معظم مدن الهند، وقد قامت حركة معارضة للشعر الجديد وعارضت هذه الحركة التحرر فى الفكر واللغة والشعر ويمثل هذا الاتجاه المحافظ مجلة «أود هـ بنج» التى أصدرها منشى سجاد حسين فى لكناؤ عام ١٨٧٧م[2]، وانضم إلى هذا الاتجاه الشعراء التقليديون وأصبحت حركة قومية تسمى «حركة أود هـ بنج» وكانت مجلة «أود هـ بنج» تدافع عن التقاليد الإسلامية وتدعو إلى الثقافة الإسلامية على العكس من مجلة «تهذيب الأخلاق» التى كانت تروّج للحضارة الغربية، وقد انتقدت مجلة «أود هـ بنج» الخروج على موضوعات الشعر القديم وانتقدت أشعار حالى وآزاد بأسلوب لاذع وساخر وكان الشاعر الساخر أكبر اله آبادى على رأس المعارضين للشعر الجديد ونظم شعراً كثيراً فى نقد قادة حركة على گرط هـ وعلى رأسهم السير سيد وقد ساعدت هذه الانتقادات على ظهور بيئة أدبية ملائمة لازدهار الشعر الأردى وبدأ الشعراء يهتموا بالموضوعات الحيوية التى تفيد الحياة اليومية وهموم المجتمع وبدأ الغزل الأردى فى الاهتمام بموضوعات جديدة فلم يعد شاعر الغزل ينظم الشعر فى محاسن المرأة فحسب بل أخذ ينظم الغزل فى موضوعات عديدة فى السياسية والمنطق والفلسفة والاجتماع وتنوعت الموضوعات بتنوع التجارب الإنسانية وأصبحت أكثر رحابة من ذى قبل وأصبح الشاعر على صلة بقومه وأخذ يتفاعل معهم وبالتالى استخدم غزله كأداة إصلاحية بعد أن كان فى غزله بعيداً عن هذه الحياة وكان حالى هو اللسان الشعرى لحركة على گرط هـ وأبرز الشعراء فى حركة التجديد ويتضح ذلك عندما نقارن بين غزليات حالى القديمة والجديدة فنرى فرقًا واضحا من حين الشكل والمضمون وفى الباب الثانى إن شاء الله سأتناول اقتراحات حالى لإصلاح فنون الشعر الأردى وخاصة الغزل فى كتابه «مقدمة شعر وشاعرى».

---

(١) عبادت بريلوى: جديد شاعرى صـ ١٢ - ١٤.

(٢) غلام حسين ذو الفقار اردو وشاعرى كاسياسى اورسماجى پس منظر صـ ١٠٧.

٣ - ندوة العلماء والاتجاه التوفيقى

استمر الصراع قائمًا بين دار العلوم ديوبند التى اهتمت بالعلوم الدينية القديمة فى مقرراتها، وبين كلية على گرط هـ التى راعت تطبيق المناهج الغربية فى التعليم وقامت بتدريس العلوم الحديثة وبذلك قامت كل مؤسسة منهما على أهداف خاصة بها وانتهجت كل منهما طريقًا مختلفًا عن الآخر بحيث أصبح من الصعب أن تؤتى كل من هاتين المؤسستين ثمراتهما الإصلاحية نتيجة هذا الصراع وأصبح من العسير على كل مؤسسة منهما أن تقوم بمهمة إصلاحية بمفردها وكان من الضرورى أن يمتزج القديم بالجديد وتحقق ذلك بقيام «ندوة العلماء» التى حاولت ايجاد نوع من التوافق بين النظام التعليمى القديم والجديد فقامت بتدريس العلوم الغربية الحديثة بجانب العلوم العربية والدينية القديمة.

وكانت ندوة العلماء إحدى المحاولات لتضييق الهوة بينهما وراعت الفرق بين الإطار الفكرى لكل من الاتجاهين وقد وردت فكرة إنشاء هذا المعهد فى ذهن شبلى النعمانى والشيخ محمد على المونگيرى وبعض العلماء الآخرين حيث يدرس فيه العلوم الغربية طبقًا لضروريات العصر وسرعته المتغيرة إلى جانب العلوم الدينية القديمة وبذلك تكون الندوة مرحلة توفيقية بين اتجاه «ديوبند» السلفى واتجاه «على گرط هـ» العصرى، وتكوّن مجلس «ندوة العلماء» عام ١٨٩٢م وتشكلت «دار العلماء» عام ١٨٩٤م ووقّع عدد كبير من العلماء على وثيقة مجلس الندوة ومنهم محمد لطف الله وشاه محمد حسين ومولانا أشرف على تهانوى ومولانا محمد على مونگيرى ومولانا محمود الحسن الديوبندى[١] ووجه هؤلاء العلماء اهتمامهم إلى الحياة الاجتماعية ورتب شبلى النعمانى وعبد الحق حقانى قواعد الندوة ولوائحها وكان هدفها ازدهار المدارس الحربية ورواجها ونشر الإسلام وحل النزاع المتبادل فى الأفكار المختلفة بين العلماء، وإصلاح المقررات الدراسية وتطوير علوم الدين وإنشاء دار للإفتاء[٢]، وقد أدرجت فى البداية تحت اسم «دار العلوم بلكناؤ» ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤م ثم فروعها من المدارس، وقد اهتمت

---

(١) معين الدين عقيل: تحريک آزادى مين ارد وكاحصة صـ ٣١٥.

(٢) رام بابوسكسينه: تاريخ أدب اردو صـ ٤٦٩.

دار العلوم بالمقررات الدراسية ويستطيع الدارس أن يكملها فى ثمان سنوات وتضم اللغة الإنجليزية والرياضة والجغرافيا بالإضافة إلى العلوم الدينية وأخذت المقررات تتغير وتتبدل بعد ذلك وقد انتخب العلامة شبلى النعمانى مديراً لها فقام بمنع تدريس اللغة الإنجليزية فى السنة الثالثة وفى سنة ١٩٠٨م أعطته الحكومة الإقليمية خمسمائة روبية مساعدة فأعاد تدريس اللغة الإنجليزية حتى الصف العاشر وشمل المقرر فى ذلك العام اللغة السنسكريتية والهندية(١). وقد قام برسكات هيوم حاكم الممالك المتحدة بوضع حجر الأساس لدار العلوم فى ٢٨ نوفمبر ١٩٠٨م وقام حالى بنظم قصيدة(٢) بهذه المناسبة نزولاً على رغبة شبلى ولكنه لم يلقها بنفسه بسبب مرضه وقد أيد حالى الندوة فى هذه القصيدة ونوه بأهدافها وكان حالى من أنصار التعليم الدينى مع الاستفادة بالتعليم الإنجليزى بقدر الحاجة فقط. وقد مرت المراحل الأولى للندوة بسلام ولكنه سرعان ما ظهرت بوادر الخلافات بين شبلى مدير الندوة وباقى الأعضاء الآخرين، فقدم استقالته من إدارة الندوة فى يوليو ١٩١٣، وقام بتأسيس «جمعية إصلاح الندوة» مع حكيم أجمل خان وأبو الكلام آزاد(٣)، ولم تنل الندوة الشهرة والعظمة التى كانت لها أيام شبلى وقد كانت تجربة الندوة هامة بالنسبة للمسلمين فى شبه القارة الهندية وكان لها دور بارز فى نشر الثقافة الإسلامية وتخريج علماء ومؤلفين كانوا ملتقى للثقافتين وبرزخًا بين الطائفتين وقد غيرت ندوة العلماء المناهج القديمة التى لا تتوافق مع حاجات المجتمع الإسلامى الجديد، واهتمت باللغة العربية والفارسية وعلوم الحديث والتفسير وقدمت كتبًا كثيرة فى مجال التاريخ والحضارة الإسلامية وقامت بترجمة صحيحة للقرآن الكريم وأصدرت مجلة «الندوة» وأشرف عليها شبلى النعمانى ومولوى حبيب الرحمن شيرانى وقامت بنشر موضوعات قيمة دعمّت أهداف الندوة وأسس شبلى دار المصنفين فى أعظم گرط هـ سنة ١٩١٣م فقامت بخدمات جليلة فى مجال التأليف والنشر وقام شبلى بتصنيف «سيرة» النبى(٤) فى مجلد وبتأليف شعر العجم فى خمسة مجلدات.

وقد استمرت ندوة العلماء فى أداء واجبها حتى اليوم برغم المعارضة التى لاقتها

---

(١) معين الدين عقيل: المرجع السابق صـ ٣١٦.

(٢) حالى: كليات نظم حالى جـ ٢ صـ ٣١٦ وجواهرات حالى، صـ ٩٤.

(٣) محمد إكرام: موج كوثر صـ ١٨٩.

(٤) رام بابوسكسينه: تاريخ أدب أردو صـ ٤٧٢ - ٤٧٣. محمد إكرام: موج كوثر صـ ١٨٩ - ٢٥٥ ومعين الدين عقيل. تحريك آزادى مين اردو كاحصة صـ ٣١٧.

فى بداية إنشائها من السير انطونى ميكدونيل الذى قوض دعائم الأردية فى إقليم بهار وكان حاكمًا للولايات المتحدة ومن أشد المعارضين للندوة من جهة ومن السيد أحمد رضا خان بريلوى الذى قام بكتابة عدة رسائل حماسية معارضة للندوة وأقام جماعة معارضة لها فى كلكتا سماها « جدوة »[1]، ولكن رغم هذه المعارضة استطاعت الندوة أن تقوم بدورها فى التوفيق بين التيار الدينى فى ديوبند والتيار العلمانى فى على گرط هـ ونشأ نوع من التعاون بين التيارين ونجحت فى التقريب فى وجهة نظر الطرفين وقد رحب السير سيد ومحسن الملك ووقار الملك بالندوة.

(١) رام بابوسكسينه. المرجع السابق صـ ٤٧٠. انظر أيضًا: عبد الحليم الندوى، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية فى الهند، صـ ٣٤، ٣٥.

obeikandl.com